

## تعليقات على بعض الإشارات الفارسية

### في الأشعار العربية

للدكتور طه ندا

- ١ -

اتصل العرب بالفرس من قديم الزمان . ومع أن العرب استطاعوا عند الفتح العربي أن يسيطروا على الفرس وأن يقضوا على ملكهم الا أن الشخصية الفارسية مع ذلك لم تفن في شخصية العرب الفاتحين ، وإذا كانت الشخصية الفارسية قد كُتبت وخضعت للقوى القاهرة أكثر من مرة الا أنها كانت على الدوام حية لم تمت ولم تفن . ولقد خضعت بلاد الفرس للإسكندر وخلفائه من بعده فترة طويلة ومع ذلك استطاعت أن تنهض . ثم كبت مرة أخرى أمام العرب الغزاة ولكنها نهضت بعد ذلك من جديد . ومن الطبيعي أنها في خلال هذه الغزوات كانت تتأثر بالغزاة الفاتحين لكنها لم تفقد شخصيتها ، بل أنها كانت رغم خضوعها للغزاة تؤثر فيهم كما تتأثر بهم ، فكان لها بذلك دورها الإيجابي .

وإذا كان من العسير أن نتتبع على وجه التحقيق مظاهر الاتصال بين العرب والفرس في الأزمنة المتقدمة فن السير كلما تأخر الزمن أن نحدد هذه الاتصالات ونبين نوع العلاقات التي كانت تربط بلاد العرب وبلاد الفرس بناء على ما لدينا من نصوص في كتب التاريخ أو الأدب .

وربما كانت أقدم الإشارات التي بقيت لنا في النصوص عن هذه الصلات مازعمه العرب ، وجاراهم فيه الفرس ، من انتساب الضحاك

اليهم (١) . وسيأتي من الشعر العربي ما يدل على هذا (٢) . أما العرب فقد أعجبهم ما كان عليه الضحاك من القوة والبطش والجبروت ففخروا به وتنبوه اليهم . وزعموا أنه الضحاك بن حلوان بن عمليق بن عاد وأنه حارب الملك جمشيد (٣) في أرض بابل حتى ففر به واستولى على ملكه ثم قتله (٤) . أما الفرس فقد ساءهم ما كان عليه الضحاك من الظلم والاستبداد وقتل الأبرياء فارادوا أن يطهروا تاريخهم منه فجعلوه عربياً واعتبروه دخيلاً على بلادهم وتاريخهم . وهكذا تنظر إليه الشاهنامه التي لا تفيض في تاريخه وحوادثه بما يتناسب مع مدة حكمه التي زعمت أنها ألف سنة .

ثم تتجدد العلاقة بين العرب والفرس أيام أفريدون (٥) الذي خلف الضحاك في الملك . وتروى الشاهنامه أن أفريدون أراد أن يزوج أولاده الثلاثة فظل يبحث عن يلقن بهم من النساء حتى دلوه على بنات ملك اليمن الثلاث . فأرسل اليه يخطبهن لأولاده (٦) وتمت بذلك المصاهرة بين العرب والفرس .

ويمتد تاريخ ملوك الحيرة وصلتهم ببلاد الفرس إلى أيام ملوك الطوائف (٧) . ويذكر اليعقوبي أن أهل اليمن لما تفرقوا قدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس أرض العراق في أيام ملوك الطوائف ، واستطاع أن يسيطر على بعض العرب من معد وغيرهم وأن يملك عليهم عشرين سنة (٨)

- 
- (١) سيرد الحديث عنه بالتفصيل . راجع ص ١٦ ، ١٧ ، ٤٠ .  
(٢) راجع ص ١٦ ، ١٧ .  
(٣) هو الملك الرابع من ملوك الدولة البيشنادية أولى دول الفرس . وتزعم الأساطير أنه ملك مبهمة سنة .  
(٤) الأخبار الطوال ص ٥ ط المساعدة بمصر .  
(٥) راجع الحديث عنه ص  
(٦) الشاهنامه : ص ٦٥ ج ١ ط بروخيم تهران .  
(٧) سكرتار إيران من سنة ٢٥٠ ق . م حتى سنة ٢٢٦ م .  
(٨) تاريخ اليعقوبي : ص ٢٣٦ ج ١ ط بريل .

ويزداد الاتصال بين العرب والفرس على مر الأيام ويأخذ هذا الاتصال مظاهر مختلفة تجارية أو إدارية أو حربية .

وعندما تولى أمر الفرس في عهد الدولة الساسانية سابور الثاني وسابور ابن هرمز المعروف بسابور ذي الأكتاف كان صديراً صغيراً (٣٠٩ - ٣٧٩م) فطمع العرب في مملكته وتدقت جوعهم الى بلاده يغيرون ويسلبون . ولم يلق العرب أمامهم مقاومة تردهم لصغر سن الملك وتناذك . ولكنه لما بلغ أشده عزم لينتقم من العرب أشد انتقام . وقد كان ، حتى انه كان يخلع أكتاف من يقع في يده من أسرى العرب . ومن هنا سمي سابور ذا الأكتاف . ومع ما كان يمتلئ به قلب سابور من كراهة العرب فانه كان - كمادة ملوك الفرس - يستخدم منهم في بلاطه كتاباً ومترجمين ومستشارين له في الشؤون العربية . ومن بين كتابه العرب لقيط بن يعمر الأيادي وله ذكر فيها بعد (١) .

وإذا تركنا الحيرة وجدنا أن نفوذ الفرس كان يمتد الى أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العربية . وفي اليمن كان العنصر الفارسي منتشراً . وهذا العنصر من سلالة الجند الفرس الذين جاءوا بلاد اليمن في عهد ملكها سيف بن ذي يزن . وكان أهل اليمن قد ضجوا من احتلال الأحباش لبلادهم وسوء سيرتهم فيهم فخرج سيف بن ذي يزن حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر وطلب وساطته عند كسرى لنصرته على الأحباش . وقد أجابه كسرى الى ما طلب وأرسل معه جيشاً بقيادة وهرز بن الكايجار الذي أمعن في الأحباش ثقيلاً وقضى على مسروق آخر ملوكهم في اليمن ، وولى مكانه سيف بن ذي يزن . ولكن سيفاً أخطأ حين احتفظ في بطانته بعدد من هؤلاء الأحباش الموتورين منه بطبيعة الحال والذين انتهزوا فرصة سانحة فقتلوه . وعندما بلغ كسرى مقتل سيف أعاد وهرز الى أرض اليمن فقتل من بقي بها من الأحباش وظل يحكم اليمن الى أن مات ودفن هناك . وخلفه في حكم اليمن يادان الذي

(١) راجع ص

استمر يحكم باسم الفرس حتى جاء الاسلام . ومن اشهر في الاسلام  
من سلالة هؤلاء الفرس طاوس بن كيسان ، ووهب بن منبه ، ووضاح النخعي .

وكان أهل الحجاز كذلك على اتصال بالفرس ، فكانوا يأتونهم  
ويترددون على أسواق الحيرة التي كانت تجذب تجارهم اليها . وقد كون  
أبو سفيان وغيره من كبار قريش ثروة طيبة عن هذه الطريق .

\* \* \*

فلما جاء الاسلام كان للفرس نفوذهم في المجتمع الإسلامي الجديد .  
وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان سلمان الفارسي واحداً ممن اعتمد  
عليهم الرسول في حروبه . وكان النضر بن الحارث (١) بما أوتيته من العلم  
بأخبار الفرس وملوكهم وأساطيرهم يحاول أن ينافس النبي عليه السلام  
في اجتذاب العرب اليه . وكان يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثاً  
منه فهلم الي فأننا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورسم  
واسينديار .. الخ (٢) . ويروي التلخشي في نقله عن محمد بن عمر المدائني  
انه قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً  
لأن الله تعالى بعثه الى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً الى قوم  
لا يفهم عنهم ولذلك كلم سلمان بالفارسية وساق بسنده الى عكرمة  
أنه قال مثل ابن عباس هل تكلم رسول الله بالفارسية قال نعم . دخل عليه  
سلمان فقال له درسته وسادته (٣) . قال محمد بن اميرل أظنه مرجحاً وأهلاً (٤) .

(١) كان النضر ابن خالة النبي ، جاب البلاد واتصل بالعلماء والحكام وحصل كثيراً  
من العلوم كالفلسفة والحكمة والطب . وكان كثير الأضيق فقهياً ، واشترك مع جند المشركين  
بقيادة أبي سفيان في يوم بدر . وانتهى أمره الى الأسر وأقتل .

(٢) سيرة ابن هشام . ص ٢٢١ ج ١ ط الحلبي ١٩٢٦ .

(٣) درسته بالفتح بمعنى المعنى والمساحة . وسادته هذه الصورة لم أتيين مدلولها وربما كانت  
محريراً . وإذا كانت درست بضم الدال بمعنى صحيح ومستقيم وكامل . الخ وكانت وسادة  
بمعناها العربي فمن المحتمل أن يكون سلمان قد قصد أن يحري الرسول عند دعوته بما معناه «طوب  
جملتك» وطل كل حال فليس في هذا النص ما يفيد معرفة الرسول بالفارسية .

(٤) صح الأضيق : ص ١٦٦ ج ١ ط دار الكتب ١٩٢٢ .

وفي عهد عمر رضي الله عنه كان للفرس شأن كبير في الحياة الاسلامية العامة . وعندما تحجر عمر في إحصاء الغنائم التي كانت ترد عليه وكيفية توزيعها أشار عليه واحد من الفرس بتدوين الدواوين وكان هذا مبدأ اتخاذ الديوان . ولم تستطع الدولة الاسلامية الناشئة أن تستغنى عن خبزة الفرس الذين أسلموا وبقي الدهاقين يؤدون خدماتهم للدولة الجديدة ، فكانوا يقومون بجمع الضرائب ، وإمساك الدفاتر الخاصة بها ، وتحديد الضريبة المفروضة على كل ممول ، كما كانوا على العموم ينفذون كل ما يطلب اليهم ويمثلون الدولة في أقاليمهم . وظل العرب يعتمدون الى فترة طويلة من الزمن على ما وضعه لهم هؤلاء من النظم الخاصة بالشئون الادارية والمالية . ونتج عن هذا أن دخل اللغة العربية كثير من الألفاظ والاصطلاحات الفارسية الخاصة بهذه الشئون ، بل أنهم أمدوا الأوربيين أنفسهم ببعض الاصطلاحات المصرفية . ومن الأمثلة على ذلك كلمة « Cheque » (١) .

واعتمد العرب على الفرس في ميادين أخرى غير الميادين المالية والادارية . وابن الأثير يذكر مثلاً أن مهندساً فارسياً اسمه روزبه بنى لسعد بن أبي وقاص قصر الكوفة من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة (٢) ويقول الطبري ما مؤداه أن سعداً بنى قصرأ بحمال عرّاب مسجد الكوفة اليوم وجعل فيه بيت المال ، ثم أن بيت المال نقب عليه وأخذ من المال فكتب سعد الى عمر يخبره خبر سرقة بيت المال ، وهنا يتقدم لسعد دهقان من أهل همدان يقال له روزبه ابن بزرجهر يعرض عليه أن يبني له بيت المال ويبني له قصرأ ثم يصل ما بينهما كأنهما بنيان واحد ، فوافقه سعد وتم على هذا النمط بناء قصر الكوفة من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة (٣) .

وكان زهير بن سليم من رجال سعد في حرب القادسية . وعندما قتل النخاريجان أحد قواد الفرس في تلك الحرب سلبه سواريه ودرعه وقبائه

(١) بالفارسية «چك»

(٢) ابن الأثير : وقع سنة ١٧ .

(٣) الطبري : حوادث سنة ١٧ ص ١٥٠ ج ٣

ومنطقته وقدمها لسعد فأغتمه اياها وأمره أن يلبس ملابس النخارجان فكان زهير بذلك أول من لبس من العرب السوارين (١) .

وكان العرب في حروبهم مع الفرس يقابلون عدوا لهم به معرفة سابقة ولهم بأراضيه خبرة اذ سبق لهم أن ارتادوا تلك البلاد والأراضي وقاموا بغزوات متقطعة عليها ، كما كانوا بالاضافة الى كل ذلك على علم بأحوال الفرس السياسية والاجتماعية . ويمكن أن نعتبر واقعة ذى قار (٦٠٤ - ٦١٠م) من الوقائع ذات الأثر البعيد في نفسية العرب اذ أحسوا بعد انتصارهم فيها أنهم قادرون على إلحاق الهزيمة بدولة كبرى كدولة الفرس مما شجعهم بعد ذلك على مناوشتها وأطمعهم في أراضيها .

وفي عهد بوران دخت بنت كسرى برويز التي حكمت حوالى سنة ٦٢٨ م (٢) انتهز العرب فرصة ضعف الفرس الذين لم يجدوا الرجل الكفء الذى يتولى ملكهم فولوا عليهم امرأة ، وأخذوا يتسلطون الى أراضي الفرس بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني ، وسويد بن قحطبة العجلي . وكان المثنى يغير على الأراضي الفارسية من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الأبله . ولم يكن هذان البطلان يلقيان مقاومة تذكر فدعاهما ذلك الى التوغل في أراضي السواد . وكان ذلك أيام الخليفة ابي بكر . فلما جاء عهد عمر لم يعد الأمر مجرد إغارات كذلك التى يقوم بها المثنى ، ووجهت الجيوش المنظمة الكبيرة لحرب الفرس .

وكان العرب في حروبهم مع أعدائهم يعرضون عليهم شروطهم قبل المناجزة . ولم تكن هذه الشروط تتجاوز واحداً من ثلاثة : الاسلام أو الجزية ، أو القتال . وكان على عدوهم أن يختار واحداً من هذه الثلاثة فان أسلم تركوه ورجعوا وخلفوا فيه كتاب الله ، وان لم يقبل الاسلام ديناً فعليه أن يشتدى نفسه بالجزية ، فان لم يقبل الأولى أو الثانية لم يبق هناك

(١) الأخبار الطوال - ص ١٢٢

(٢) كانت مدة حكمها ستة أشهر فقط .

مفر من القتال . وكان العرب يقبلون على القتال بنفس راضية مطمئنة فلما الاستشهاد ودخول الجنة ، وإما النصر والظفر بغنائم الأعداء وأرضهم وأبتائهم وأموالهم . وعلى العموم فقد كان لإسلام الأعداء أحب إلى العرب من غنائمهم ، ومقاتلتهم أحب إلى العرب من مصالحهم (١) . وكما قال المغيرة بن شعبه لرستم قائد جيوش الفرس «يدخل من قتل منا الجنة ويدخل من قتلنا منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم» (٢) .

وتقابل العرب مع الفرس في غزوات صغيرة أول الأمر (٣) إلى أن كانت حرب القادسية وفيها هزم الفرس وولوا هاربين إلى المدائن ففتحها العرب هي الأخرى وظلوا يطارودهم حتى كانت وقعة نهاوند سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م . وبعدها كان أمر ما بقي من البلاد حيناً فقطقوا يفتحون البلدة تلو البلدة وظل يزيدجرد آخر ملوك الساسانيين يفر أمامهم من مكان إلى مكان حتى قتل سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م لعهد عثمان بن عفان بعد أن ملك عشرين سنة قضى منها ست عشرة في محاربة العرب (٤) .

وكان من نتائج هذه الفتوح أن أصبح المجتمع يتكون من ثلاث طبقات طبقة العرب الفاتحين ، طبقة المسلمين الجند وهم الموالي الذين اعتنقوا الإسلام ، طبقة غير المسلمين . وكان للطبقة الثانية أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العربية الإسلامية في العصور التالية . كما كان للصراع بينها وبين الطبقة الأولى مظاهر في الشعر كما سيأتي (٥) .

(١) الطبري - ص ٤١ ج ٣

(٢) نفس المصدر - ص ٣٩ ج ٣

(٣) كنزرة الخارق ، السقاية ، الحمر ، اليس ، البريب ... الخ .

(٤) في الطبري أنه ملك عشرين سنة قضى منها أربع سنين في دعة وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظهم عليه . ص ٣٤٨ ج ٣ . هذا بينما تعتبر الشاهنامه مادة حكمة ست عشرة سنة فقط .

(٥) راجع ص .

ففى العهد الأموى كان الأمر كله بيد الطبقة الأولى وحدها وهى طبقة العرب . وكان أفراد هذه الطبقة ينظرون الى أفراد الطبقة الثانية على أنهم أقل منهم شأنًا . وقد عانى الموالى المسلمون - معاناة شديدة من جراء هذه النظرة اليهم وحز في نفوسهم وضعهم الاجتماعى الشاذ الذى وضعهم فيه الدولة الأموية المتعصبة للعرب أشد التعصب . ومع ما بلغه قدر الموالى من العلو في مضمار الدين ، العلم ، الأدب فان هذا كله لم يكن ليشفع لهم ليحظروا من الدولة العربية بالمساواة الاجتماعيه بينهم وبين العرب . وكان لا بد للمظلوم أن يثور ليرفع عن كاهله هذا الذل وليقتضى على هذا الحكيم المسنيد . وهذا ما حدث . ويمكن أن نتخذ من حركة المختار مثلا للحركات الثورية التى قام بها الموالى . وكان الموالى يرمون من وراء هذه الحركة إلى تحقيق المساواة التى دعا اليها الدين الاسلامى ، أما زعماء هذه الحركات الثورية كالمختار أو غيره فى الحائر أن يكون لهم طموح شخصى استعانوا على تحقيقه بهؤلاء الموالى المتذمرين الذين لم يتبينوا الأهداف الخفية عند زعمائهم (١) . وكان العرب يضيفون بمثل هذه الحركات أشد الضيق لأن انتصار الموالى معناه القضاء على جاههم ونفوذهم وامتيازاتهم . وكان أشرف أهل الكوفة يخطبهم من المختار أنه عمد إلى مواليتهم وهم فيء إفتاءة الله عليهم فلم يرض لهم حتى جعلهم شركاءهم في فيئهم (٢) . وقد بلغ حد العرب على هؤلاء الموالى حد الوحشية . ولم يكن معاوية بن قرة المزنى ، وكان قاضيا لأهل البصرة ، يستحي من أن يروى عن نفسه في حربته ضد الموالى من اتباع المختار أنه انتهى إلى رجل منهم فأدخل سنان الرمح في عينه وأخذ يخفض عينه بسنان رمحه (٣) .

(١) فى نص الطبرى أن المختار كان يقول : أن رجل من العرب رأيت ابن الزبير انزى على الحجاز ورأيت نجدة انزى على اليمامة ومروان على الشام فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأعدت هذه البلاد فكنت كأخدم إلا انى قد طلبت بنار أهل بيت النبي صل الله عليه وسلم إذ لانت منه العرب ، ص ٥٧٠ ج ٤ .

(٢) الضبى - ص ٥١٨ ج ٤ .

(٣) الطبرى - ص ٥٩١ ج ٤ .

ومع كل هذه العصبية العربية لم يتخل الأمويون عن تقليد الفرس واقتفاء آثارهم . وابن خلدون يروى لنا أن الحجاج بن يوسف أولم ولية لختان أحد أولاده ، وأراد أن يستعين بأحد الدهاقين في اعداد الولية فسأله عما جرت به عادة كبراء الفرس في أمثال هذه المناسبات ليحذو حذوهم فلما اجابه الدهقان استهول الأمر واستعظمه وفضل أن يرجع إلى تقاليد البدوية فنادى غلامه اينحر الجزر ويطعم الناس (١) .

وإلى الفرس يرجع الفضل فيما ناله الغناء العربي زمن الأمويين من تقدم وتطور . وفي الأغاني أن سعيد بن مسجح مولى بني جمح مكى أسرد متقدم من فحول المغنين وأكابرهم وأول من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب (٢) . ومن روايات صاحب الأغاني أيضاً في هذا الصدد أن معاوية بن أبي سفيان حين بنى دوره استخدم في ذلك بنائين من الفرس وكان ابن مسجح يأتي فيسمع من غنائهم وهم يبنون فما استحسنه أخذه ونقله إلى الشعر العربي ويضرب لذلك مثلاً بأبيات الأصوص التي لحها ابن مسجح على بعض تلك الألحان (٣) .

ثم انتفضت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية فجاء معها خلاص الفرس من هذا الاستعباد وليس هنا ما يدعو للخوض في بيان الدور الذي قام به الفرس لاقامة الدولة الجديدة ، ولا لبيان ما آل إليه شأن الفرس في عهد الدولة العباسية من الارتفاع فهذا أمر معروف . كما أنه ليس من الضروري - رغبة في الإيجاز - أن نبين كيف امتد أثر الفرس إلى كل ناحية من نواحي الحياة في العصر العباسي ، وكيف استعان العرب في هذا العصر في كل شأن من شئون حياتهم بأسباب الحضارة الفارسية حتى ديانات الفرس القديمة تسالت إلى هذا المجتمع الاسلامي وأثرت فيه .

(١) ابن خلدون - ص ١٤٥ ج ١ .

(٢) الأغاني - ص ٢٧٦ ج ٣ .

(٣) الأغاني - ص ٢٨١ ج ٣ .

والمهم أن الفارسي الذي كان يطمح في عهد الدولة الأموية إلى مجرد المساواة بالعرب أصبح اليوم يحتقر العرب ويفخر عليهم ويعبرهم بماضيم ويضع الكتب وينشئ الأشعار في تعداد مثالبهم كما سيرد ذلك في مجموعة النصوص . وهكذا تنحى العربي مكرها عن مكان الصدارة التي كانت له فيما مضى . ولم يكن هذا أمراً هيناً على نفس العربي كما أنه لم يطق صبراً على وقاحة هؤلاء الفرس ، ورأينا من شعراء العرب من يهاجمهم ويحط من قدرهم كما فعل أبو الأمد . وسيرد شعره فيما بعد (١) .

## (٢)

رأينا فيما قدمنا من عرض تاريخي موجز كيف كانت صلوات العرب بالفرس خلال التاريخ . ومن الطبيعي أن يضم الشعر العربي كثيراً من الاشارات التي تشير إلى هذه الصلوات ، وتتحدث عن جيرانهم الفرس حديثاً يتناول كل شأن من شؤونهم كشئون الحروب والمنازعات السياسية ، ومظاهر الترف والحضارة إلى غير ذلك من الشئون التي عرفها العرب عنهم وقلدوهم في كثير منها . وسنعرض في هذا القسم من البحث لطائفة من الأشعار العربية التي تضم مثل هذه الاشارات الفارسية في مختلف الشئون .

وأول ما نعرض له مما في الشعر العربي من مظاهر هذه الصلوات لغة الفرس نفسها ، وقد كانت هذه اللغة معروفة لدى العرب في كل وقت . وكان منهم كثيرون أتقنوها وبرعوا فيها حتى أن ملوك الفرس كانوا يستخدمون أمثال هؤلاء في بلاطهم تراجمه وكتاباً ومستشارين . وكان عدى بن زيد قد تعلم العربية في كتاب العربية والفارسية في كتاب الفارسية حتى صار كما يقول صاحب الأغاني من أنهم الناس بالفارسية وأفصحهم بالعربية (٢) وفي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان سلمان الفارسي يجد من المكانة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشجعه على تحيته بالفارسية دون

(١) راجع ص

(٢) الأغاني - ص ١٠١ ج ٢ ط دار الكتب ١٩٢٨ .

العربية كما مر بنا في نص سابق (١) . وفي العهد الأموي ، على شدة اعتداده بالعصبة العربية ، كانت اللغة الفارسية منتشرة بين الناس كما يبدو ذلك من قصة يزيد بن مفرغ حين عذبه عبيد الله بن زياد وسقاه مهلاً ثم ربطه في فرس يطوف به في السوق وقد فعل المسهل فعله واجتمع الصبية حوله يقولون « ابن شيبست » أي ما هذا (ابن جيست) فكان ابن مفرغ يجيبهم :

آبست ونيبيد است      عصارات زيب است  
سيه روى سبيد است

أي إنه ماء ونيبيد ، إنه عصارات زيب ، ونيه وجهها أبيض (٢) .

وكانت الفارسية منتشرة ، على عهد الدولة الأموية ، انتشاراً كبيراً في العراق لكثرة الموالى هناك وكان أهل الشام في حربهم للمختار وشيعته ينظرون إليهم على أنهم « عبيد اباقر تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقية ولا ينطقون بالعربية (٣) » . ولما بلغ اتباع المختار ما لقي إخوانهم من الهزيمة في حربهم مع ابن شميظ لم يصدقوا مبلغهم وقالوا بالفارسية « ابن بار دروغ كفت » أي أنه كذب هذه المرة (٤) .

وفي عهد الدولة العباسية أصبحت الفارسية مألوفة في أسماع العرب حتى أن العربي الذي يجهلها كان مع ذلك يستيفها إذا هممها بل بطرب لها . ويحكى أن أعرابياً سمع غناء بخراسان بالفارسية ، ولم يكن على علم بها ، فشقوه الغناء لشجاء وحسنه فقال في ذلك (٥) :

(١) راجع - ص

(٢) وفي رواية أخرى سمى روسي است بدل روى سيد . وروسي بمعنى العاهرة والفاجرة

(٣) الطبري - ص ٥١٦ ج ٤

(٤) نفس المصدر والجزء - ص ٥٦٢ .

(٥) وقيل إنه لاين تمام .

حدثك نيلة شرفت وطابت      أقام سهادها ومضى كراها  
 سمعت بها غناء كان أولى      بأن يقتاد نفسي من عساها  
 ومسمعة يحسار المع فيها      ولم تصمه ولا يصم صداها  
 مرت أوتارها فشنقت وشسقات      فلو يطيع حامدها فداها  
 ولم أنهم معانيهما وليكن      ورت كبدى فلم أجهل شجاها  
 فكنت كأننى أعمى معنى      يحب الغانيات وما رأها(١)

ومن الواضح أن معرفة الفارسية في العصر العباسي كانت أمراً يدعو  
 إلى الفخر والاعجاب وكان الشعراء يتخذون منها في أشعارهم مادة ظرف  
 وتملح . والجاحظ يذكر أن الأعرابي قد تملح بأن يدخل في شعره شيئاً  
 من كلام الفارسية كقول العائى للرشيد في قصيدته التي مدحه بها (٢) :

من يلقه من بطيل سرند      في زعفة عمكة بالسرود  
 تجول بين رأسه والكرد(٣)

يقصد بالكرد هنا العتق من الفارسية كردن بالجاف .

وفيها يقول أيضاً :

لما هوى بين غيباض الأمد      وصار في كف المزبر الورد  
 آلى يسدوق الدهر آب سرد

(آب - ماء وسرد - بارد ، عديم الطعم ، غير ملائم ، غير سار .. الخ  
 فالمعنى الحرفي لآب سرد ماء بارد . والمقصود حسب السياق أنه واجه  
 الدهر القاسى الشديد وذاقه ولم يبال طعمه أى لم يرهب الدهر وعواقبه) .

(١) نهاية الأرب - ص ١١٦ ج ٥ .

(٢) البيان والتبيين - ص ١٤١ ج ١ طبعة التاليف ١٩٤٨ .

(٣) يذكر الشارح أن أهدم من قول العائى قول الفرزدق

وكنا إذا نفيس نب عتوده      ضربناه دون الاتيين حل الكرد

وكقول آخر :

ودلنى وقع الأمانة والقنا      وكافر كوبات لها عجر فقد  
بايدى رجال ما كلابى كلامهم      بسومونى مرداً وما أنا بالمرء

كوب من كوفتن أو كويدين بمعنى اللق والضرب وهى المادة من المصدر وتكون أيضاً بمعنى اسم الفاعل أى الضارب وكافر كوبات بمعنى الخشب والمقارع التى تتخذ للضرب . والخشبية فرقة كانت تتخذ الخشب أو الكافر كوبات . ويذكر الطبرى فى حوادث سنة ٦٦ هـ أن عبد الله ابن الزبير لما حبس محمد بن الحنفية ومن معه ليجهزم على البيعة له بعثوا إلى المختار وإلى من معه بالكوفة يخبرونهم بما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار إذا لم يبايعوه فأرسل المختار عدداً من أعوانه لانقاذهم وساروا حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافر كوبات وهم ينادون يا لثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم ، حيث حبس زملاؤهم ، وأنفذوهم (١) . وفى البيت الثانى مرد بالفارسية بمعنى رجل أو بطل أو شجاع . وقد وردت الشطرة الثانية بسومونى مردا .. وذكر الشارح - مامه الشىء - كلفه اياه وأراده عليه . ويكون المعنى حسب شرحه يكلفونى أن أكون رجلاً أو بطلاً وما أنا بالرجل أو البطل . ولكن من الجائز أن تكون الشطرة الثانية بسومونى مردا وما أنا بالمرء بدل بسومونى ، والمعنى على هذا أن الشاعر العربى حارب قوماً تختلف لغتهم عن لغته حتى أنهم يسمون الرجل مردا ، وليس الرجل فى العربية مردا . وهذا أوضح وأقرب وأنسب إلى معنى الشطرة الأولى .

ومن الشعر الذى تشيع فيه هذه الألفاظ الفارسية قول أسود بن أبى كريمة

لزم الغرام ثوبى      بكبرة فى يوم سبت  
فتمايسست عليهم      مسيل زكى يمى  
قد حنا الداوى صرفاً      أو عقاراً يا بخت

(١) الطبرى - ص ٥٤٤ ج ٤ .

ثم كفتم دور بـاد      ويحكم آن حر كفت  
 إن جملدى دبغتـه      أهل صنعاء بجفت  
 وأبر عمره عندى      آن كوربد نمت  
 جالس اندر مكناد      أبا عمد بهشت

وهى موجودة فى البيان والتبيين .

ومن لعب بالألفاظ الفارسية فى شعره أبو القاسم العلوى الأطروش  
 وكان أديباً من أفاضل العلوية، نازلاً استراباد، وله فى بعض رؤساء جرجان

خيلى فـرا من الدهمخدا      خذا حدرأ من وداده خذا  
 يكنى بعد ونمخا حدا      وكل الخلالى منه كذا (١)

(دهمخدا أو دهقان سيد الثرية وكبرها ، ده قرية ، خذا سيد ، لاحظ  
 الجناس فى قوله فى البيت الأول - دهخدا فى الشطر الأول ، وده خذا  
 فى آخر الشطر الثانى) .

ومن ورد فى شعره اشارة إلى اللغة الفارسية قول أبى على الساجى  
 فى مدينة مرو :

بلد طيب وماء معين      وثرى طيبه يفوق العيرا  
 وإذا المرء قـدر المير عنه      فهو ينهـاه باسمه أن يسيرا (٢)

والاشارة هنا فى قوله فهو ينهـاه باسمه أن يسيرا وذلك لأن نهى المخاطب  
 عن السير باللغة الفارسية « مرو » وهى فى صورتها اسم المدينة .

(١) البتة - مر ٤٧ ج ٤ .

(٢) البتة - مر ٧٦ .

وكان أبو الفضل السكري المروزي أحمد بن محمد بن زيد من شعراء مرو وظرفاتها قد خطا خطوة أبعد فكان يترجم في أشعاره الأمثال الفارسية .  
وبما ذكره له الثعالبي قوله :

من لم يكن في بيته طعام      فإله في محفل مقام  
وقوله :

إذا لم تطلق أن ترتقى ذروة الجبل      لعجز فق في سفحه هكذا المثل  
وقوله :

في كل مستحسن عيب بلا ريب      ما يسلّم الذهب الأبريز من عيب  
وقوله :

تبخر إخفاء لما فيه من عرج      وليس له فيما تكلفه فرج (١)

ومن الأشعار التي (٢) وردت فيها إشارات فارسية قصيدة أبي نواس التي هجا فيها عدنان وانتخر بقحطان ويسبها أطال الرشيد حبسه ، يقول (٣)

ليت بدار عفت وغيرها      ضربان من قطرها وحاصبها  
ولا لأى الطلول أنديها      للريح والرقش من قرانها  
ولا نطيل البكا إذا شطت النية      واستعميرت لذاهبها  
بل نحن أرباب ناعظ ولنا      صنعاء والمك من محاربا  
وكان منا الضحاك بعده الخائل      والوحش في مسارها  
ودان أدوانه البريسة من      معترها رغبة وراهبها

(١) يتيمة الشعر - ص ٧٣ ج ٤

وراجع أيضاً قصة الأدب الفارسي للأستاذ حامد مبد القادر ص ١٨٧ وما بعدها

(٢) الأسماء في هذا العرض مرتبة حسب الترتيب الزمني للعرضات والإشارات الواردة بها

(٣) ديوان أبي نواس - ص ١٥٥ ط آصاف ١٨٩٨ .

ونحن إذ فارس تدافع بهــــــــــــــــرام تطنا على مرازبهــــــــا  
 بالجيل شعثا على لواحق كالعبدان تعطى مدى مذاهبها  
 بالسود من حمير ومن سلف ارغن والشم من مناسبها  
 ويوم سائيد ما ضربنا بنى الأصفر والموت في كتابها  
 إذ لاذ برواز يوم ذاك بنا والحرب تمرى بكف حالها  
 يدود عنه بنوقبيصة بالخطى والبيض من قواضبها  
 حتى دفعنا إليه مملكة ينحسر الطرف عن مواكبها  
 الخ . . . . .

وفي هذه القصيدة يهجو عدنان بشظف عيشهم وبكأنهم على الأطلال  
 ويفخر بما كان لقحطان من حضارة وقوة . فالحضارة تتمثل عنده في ناعط  
 وهو حصن باليمن ليس لعدنان مثله ، وفي صنعاء وكانت قديماً مدينة في بلاد اليمن  
 ذات شأن . وأما القوة فتتمثل عنده في الضحاك الذي بلغ من القوة حداً جعل  
 الخائل والوحش في مساربها تبعده . وهكذا ترى أن العرب أكبروا في الضحاك  
 قوته فنسبوه إليهم بينما كره الفرس ظلمه وجوره نفوه عنهم . وهذا  
 الاضطراب في أمر الضحاك راجع إلى خلط الأساطير السامية بالفارسية (١) .  
 وكان الضحاك خامس ملوك الدولة اليشدادية استولى على الملك من جمشيد  
 وقضى على ملكه افريدون . وسيرد الحديث بشيء من التفصيل عن الضحاك  
 وقصته مع افريدون في موضع آخر .

(١) يرى الدكتور عزام في مقدمته للشاهنامه « ان انكبة العربية والفارسية فيها كثير  
 من ليس تاريخ الإيرانيين وأساطير الساميين وتاريخهم كالتى يروى في نسب آدم وأبنائه ونسب  
 كيومرث ابن انشور عند الفرس وأبنائه ، وكما يرى من إنشبه بين نوح وأولاده وأفريدون وأبنائه ،  
 وكما يروى أن ابراهيم هو زردشت وان الابدستاق هو صفى ابراهيم ، وان حضرا الجنى الذى سرق  
 عندهم سليمان هو الضحاك المجهوس في نهاره . وأشال هذا كثير في انكبة العربية كالطبرى وكتاب  
 البلدان للهاتفى ومرج الذهب وفي انكبة الفارسية كفارس نده . وهذه روايات نشأت بعد  
 الإسلام فيما أشبهه ص ٨٧ .

ثم هو لم يكتف بالفخر على عدنان وحدهما بل فخر كذلك على الفرس  
وهذا في الإشارة التي تتضمنها الأبيات ٧ ، ٨ ، ٩ . ويشير الشاعر في  
هذه الأبيات إلى الفتنة التي وقعت بين كسرى برويز وبين بهرام جوبين .  
وتذكر المصادر التاريخية أن كسرى برويز لما أعياه أمر بهرام لجأ إلى  
قيصر الروم يستعين به ، وبينما هو في طريقه إليه تلقاه إياس بن قبيصة  
وأكرمه ورجاله وأطعمهم من جوع ودلهم على الخي فزلوا به واستراحوا  
ثم زودهم وخرج بهم يلطم على الطريق حتى أخرجهم ببالس من شاطئ  
الفرات ثم انصرف (١) . ولم يكن هذا هو الفضل الوحيد لإياس فان كسرى  
برويز (برواز في النص) قد وجه في بعض حروبه مع الروم إياس بن قبيصة  
فلقيهم بساتيدما (٢) فهزمهم وافتخر الشاعر بذلك .

وفي الضحاك أيضاً يقول أبو تمام يمدح الأفشين بعد أن هزم بابلك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا      هامان في الدنيا ولا قارون  
بل كان كالضحاك في سطواته      بالعالمين وأنت أفريدون

وللقيط بن يعمر الأبادي :

يادار عمره من محتلها الجرعاً      هاجت لي الهم والأحزان والوجعاً  
تامت فوادي بدات الجزع خرعية      مرت تريد بذات العذبة البيعا  
عقلتي خاذل أدماء طاع لها      نبت الرياض ترجي وسطه ذرعاً  
وواضح أشب الأنياب ذئب أشر      كالأقحوان إذا ما نوره لمعا  
جرت لما بيننا حيل الشموس فلا      بأسا مبيئاً أرى منها ولا طمعاً  
فما أزال على شحط يورقسي      طيف نعد رحلي حيثما وضعاً  
أني بعيني إذ أمت حمولم      بطن السلوطح لا ينظرن من تبعاً

(١) الأخبار الطوال - ص ٩١ .

(٢) ساتيدما نهر يقرب أروان وقيل انه جبل في بلاد الروم . وفيه يقول الأحمي :  
رهرقلا يوم ذي ساتيدما      من بني برجان في الباس رجح

يل أيها الراكب المزجي مطيته  
ابلق أبادا وخلل في سراتهم  
ياحف نفسي أن كانت أموركم  
إلى أراكم وأرضا تعجبون بها  
ألا تخافون قوما لا أبالكم  
أبناء قوم تأبؤكم على حنق  
أحرار فارس أبناء الملوك لهم  
فهم سراع اليكم بين ملتقط  
لو أن جمعهم راموا بهدته  
في كل يوم يسنون الحراب لكم  
خزر عيونهم كأن لحظهم  
لا الحرت يشغلهم بل لا يرون لهم  
وأنتم تحرثون الأرض عن صفه  
وتلغجون حبال الشول آونة  
وتلبسون ثياب الأمن ضاحية  
وقد أظلكم من شطر ثغركم  
مال أراكم نياماً في بلهينة  
فاشفوا غليل برأى منكم حصد  
ولا تكونوا كمن قد بات مكنعا  
بسمي ويحب أن المال مخلده  
فاقتوا جياذكم واحموا ذماركم  
ولا يدع بعضكم بعضا لثابة

إلى الجزيرة مرتاداً ومنتجعاً  
أنى أرى الرأى أن لم أعص تد نصعا  
شئى وأحكم أمر الناس فاجتمعوا  
مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا  
أمسوا إليكم كأمثال الدب سرعا  
لا يشعرون أضر الله أم نفعاً  
من الجموع جموع تزد هي اتقلا  
شوكاً وآخر يجنى الصاب واللعنا  
شم الشماخيخ من هلال لا نصدعا  
لا يهجعون إذا ما غافل هجعا  
حريق غاب ترى منه المنا قطعاً  
من دون ييضتكم ربا ولا شبعاً  
في كل معتمل تبغون مزدردعا  
وتنتجون بدار القلعة الربعا  
لا تفرعون وهذا الليث قد جمعا  
هول له ظلم تفشاكم قطعاً  
وقد ترون شهاب الحرب قلمطعا  
يصبح فؤادى له ريان قد نقما  
إذا يقال له افرج غمه كنعنا  
إذا استفاد طريفاً زاده طمعا  
واستشعروا الصبر لا تشعروا الجزعا  
كما تركتم بأعلى بيضة النخما

صنونا جيا دكم وأجلوا مسوفكم  
اذكروا العيون وراء السرح واحترموا  
واشروا تلاككم في حرز انفسكم  
فان غلبتم على صن بداركم  
لا تلهكم لابل ليست لكم لابل  
لا تثمروا المال للاعداء إنهم  
هيهات لا مال من زرع ولا لابل  
والله ما انفكت الأموال مذ أبدأ  
باقوم أن لكم من أرث أو لكم  
باقوم لا تأمنوا إن كنتم غيرا  
باقوم بيضتكم لا تفجعن بها  
هو الجلاء الذي يبحث أصلكم  
قوموا قياماً على أمشاط أرجلكم  
وقلدوا أمركم الله دركم  
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده  
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه  
مسهد النوم تعنيه أمـوركم  
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره  
حتى أنتصرت على شزر مريرته  
وليس يشغله مال يشـسره  
كمالك بن قنان أو كصاحبه  
إذا عابه غائب يوماً فقتال له

وجددوا لتقى النبل والشرا  
حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا  
وحرز أهلكم لا تهلكوا هلعا  
فقد لقيتم بأمر الحازم الفزعا  
إن العدو يعظم منكم فرعا  
إن يظهروا يحتوكم والتلاد معا  
يرجى لغابركم إن أنفكم جدعا  
لأهلها ان أصيدوا مرة تبعا  
إن ضاع آخره أو ذل واتضعا  
على نائكم كسرى وما جمعا  
أنى أنخاف عليها الأزم الجدعا  
فن رأى مثل ذا رأيا ومن سمعا  
ثم انزعوا قد ينال الأمن من فرعا  
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
ولا اذا عض مكروه به خشعا  
هم يكاد شياه يفصم الضلعا  
يروم منها إلى الأعداء مطلقا  
يكون متبعا طورا ومتبعا  
مستحكم الرأي لاقحما ولا ضرعا  
عتكم ولا ولد يبغي له الرفعا  
عمرو اتقنا يوم لاقى الحارثين معا  
دمت لجنبك قبل الليل مضطجعا

فتأوروه فألغروه أنسا علل في الحرب لا عاجزا تكسا ولا ورعا  
لقد بذلت نكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعنا  
هذا كتابي اليكم والتذير لكم لمن رأى رأيه منكم ومن سماعا  
والقصيدة طويلا ، أغرنا روعتها باثباتها كلها (١) .

ولقيط صاحب هذه القصيدة شاعر جاهلي من أهل الحيرة تعلم الفارسية  
وأجادها ، واشتغل بالترجمة والكتابة لكسرى سابور ذي الأكتاف وكان  
يحكم عمله من المطلعين على أسرار الدولة . وهو من إياد . ويذكر اليعقوبي  
عن إياد أنها كانت تقيم في الحيرة ومنازلهم الخورتنق والسدير وبارق ثم  
أجلاهم كسرى عن ديارهم حتى نزلوا تكريت على شط دجلة ولكنه  
أخرجهم من تكريت إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقره . وكان رئيسهم  
وتنذاك كعب بن مامه (٢) . ولما بلغ لقيط ما عزم عليه كسرى بعد ذلك من  
نفي إياد عن تكريت كتب اليهم منبهاً :

سلام في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إياد  
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يشغلكم سوق النقاد  
أفاكم منهم سبعون ألفا يزجون الأكتاف كالجراد

ولكن قومه لم يلتفتوا إلى قوله ، فبعث اليهم قصيدته المطولة يحذرهم  
من الخطر الذي يهددهم ويصف لهم عدوهم ، وينصحهم بأعداد العدة للقاءه ،  
ويشير فيهم الحمية والحماسة . ومن سوء حظ لقيط أن قصيدته وقعت  
في يد كسرى فكان عقابه عنده أن قطع لسانه ثم قتله . ويذكر ابن  
عبد ربه (٣) أن قصيدة لقيط قبلت يوم ذي قار مخالفاً بذلك المصادر التاريخية .  
وكانت وقعت ذي قار حوالي ٦٠٤ - ٦١٠ م أي في عهد كسرى الثاني

(١) رغبة الأمل للرضي ص ٩٩ ج ٥ .

(٢) تاريخ اليعقوبي - ص ٢٥٨ ج ١ .

(٣) لغته الفريد - ص ٢٦٨ ج ٥ ط لجنة التأليف .

أو كسرى برويز بينما عاش لقيط معاصراً لسابور الثالث أو سابور ذي الأكتاف حوالي ٣٨٣ م . وهو فرق زمني بعيد لا يسوغ هذا الخلط .

ومن الشعر العربي عن بهرام جور :

عجبت لبهرام ومن ذات ظبية  
تجوب وتعدو بين قفر السباب  
وبهرام مع حوراء عين كأنها  
أيا الشمس أصبت بين عشب المغارب  
فقلت له الحوراء دونك فارمها  
وصكك بسهم من سهام الشصائب  
مجامع أذنيها وأسفل ظلها  
فلا عذر إن خالفت يابن الأشاحب (١)  
فأرسل سهماً صك منها الذي بفت  
وقام بها مغضباً بالقواضب (٢)

وقال آخر :

ولا رأى ملكاً تجو (٣) الملوك له  
بالسند والمنند والمعمر بالصين  
ولا رأى أردشير الفارسي (٤) ولا  
كسرى شهنشاها (٥) إذ يلهو بشيرين  
إذ قالت القنية الورهاء إذ نظرت  
إلى غزال تنافى ريرب العين  
مادون جمعك ظلها بنافذة  
سكا إلى قرنه بهرام يرضيني  
فدعر الملك وارثيت فرائضه  
من قول صنائه قالت بهجين  
فراصد الظبي حتى حك سامعه  
منه بظلف على قرن وأذنين  
بذى غرار طير الفصل مسنون (٦)

(١) يحتمل أن تكون الأشاحب وهذا أسوب .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢٥٦ .

(٣) قد تكون تمنر أي تخضع وتذل .

(٤) من ملوك الدولة الساسانية ثلاثة ضوا أردشير ، أردشير الأول وهو أردشير بن بابك (٢٢٦ - ٢٤١ م) وأردشير الثاني وهو أردشير بن هرمز المنقلب ليكوكار (٢٧٩ - ٣٨٣ م) وأردشير الثالث وهو أردشير بن شيرويه بن برويز وقد حكم ستة أشهر حوالي ٣٢٨ م . وأعظم الثلاثة أوطم .

(٥) كسرى شهنشاها هنا هو كسرى برويز أو كسرى الثاني ومحبوبته شيرين (٥٩٠ - ٦٢٨ م)

(٦) مختصر البلدان - ص ٢٥٧ .

وبهرام جور (كور) الذي تدور حوله قصة هذه الأبيات هو بهرام الخامس أو بهرام جور بن يزدجرد ويقع ترتيبه بين ملوك الدولة الساسانية الرابع عشر (١). ولبهرام بالعرب صلة قوية إذ كان أبوه يزدجرد بن سابور قد دفعه إلى النعمان بن الشقيقة (٢) عامله على الخيرة لينشأ في بيئة صحية ويتعلم الفروسية. وينسب إلى بهرام أنه أول من قال الشعر الفارسي (٣). وقد أجاد العربية بحكم إقامته بين العرب حتى كان ينظم الشعر العربي. ويروى عوفى أنه لما ارتقى العرش وكان في ميعه الصبا عرض عليه جماعة من اقربائه وخواصه أن يتزوج ، فأشدد في هذا المعنى (٤).

يرومون تزويجي من الكفو طلباً      ومالي من جنس الملوك عدل  
أرى أن مثلي كالمحال وجوده      ولايمس إلى نيل المحال سبيل  
ومن أشعاره العربية يوم ظفروه بخاقان وقتله له (٥):

فقلت له لما نظرت جنوده      كأنك لم تسمع بصرلات بهرام  
فأني لحامي ملك فارس كلها      وما خير ملك لا يكون له حامي

وكان بهرام بارعاً في الصيد حتى لقبوه «كور» وهو حمار الوحش .  
وارتبط هذا اللقب به بحيث أصبح جزءاً من اسمه (٦) . ولم يعرف على

(١) في الشاهنامه أنه حكم ثلاثاً وستين سنة وفي غير ما من المصادر التاريخية ثلاثاً وستين أو تسع عشرة .

(٢) الشقيقة أمه بنت أبي ربيعة بن نعل بن شيان وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو ابن عدى .

(٣) لباب الألياب - ص ١٩ ج ١ ط براون .

(٤) نفس المصدر والجزء - ص ٢٠ .

(٥) لباب الألياب - ص ٢٠ ج ١ - وراجع أيضاً مروج الذهب ص ١٦٢ ج ١ ط البنية .

(٦) سايبكس - ص ٥٩٥ ج ١ الترجمة الفارسية لفخر دامي كيلبي .

وجه التحقيق كيف مات وإن كان معروفاً أنه لقي حتفه في إحدى رحلاته للصيد (١) .

والأبيات التي مرت فيما سبق تشير إلى براعة بهرام في الصيد . وقصتها أن بهرام خرج للصيد مع جارية من أحب جواريه إلى قلبه . ولما فرغ من الصيد نزل يستريح في قصر له بقية يقال جوهسته وأسرف في الشراب مع الجارية . وفي ذروة نشوته سألها أن تقبض عليه فنظرت الجارية حولها فرأت ظبية ترعى فوق أحد التلال البعيدة . وخطر لها لبراعة بهرام أن تطالبه بصيد تلك الظبية ، ولكنها بالفت فيما طلبت إذ أرادت منه أن يرميها بسهم واحد يصل ظلها مع أذنها . ومع براعة بهرام في الصيد إلا أنه وجم لهذا الطلب الذي يتعذر تنفيذه ، ورأى أن الجارية بجانب البقاة حين رامت المستحيل ، وبعد حيرة وتردد أخذ قومه ورمى الظبية سهماً أصاب أذنها ، ولحسن حظ بهرام رفعت الظبية ظلها لتحك أذنها فاندفع السهم إلى ظلها . وهذا حقيق بهرام للجارية رغبتها إلا أنه ساءه منها أنها تطلب ما لا استطاع نقتلها ودفعها مع الظبية وبنى عليهما ناووساً كب على حجارتها بالفارسية قصتها . وظل الناووس باقياً إلى أيام ابن الفقيه الهمداني (٢) . وهو على بعد ثلاثة فراسخ من همدان .

• • •

ولعدي بن زيد :

أما الشامت المعبر بالدهر أنت المرأ الموفور  
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهل مغرور  
من رأيت المنون تطلدن أم من      ذا عليه من أن يضام خضر  
ابن كسرى كسرى الملوك أنوشر      وإن أم أين قبله سابور  
وبنو الأصفر الكرام ملوك السر      وم لم يبق منهم مذكور

(١) يقول عمر الخيام عنه :

بهرام كه كور ميكرتي هم عمر      ديدى كه جكونه كور بهرام كرت  
ويلا حظ الجناس الثام بين كور الأول والثانية .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢٥٥ .

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجـله تجي إليه والخابور  
شاده مرمراً وجلله كلساً فلأظير في ذراه وكور  
لم يهيه ريب المنون فباد المـمـاك عنه غيابه مهجور  
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير  
سره ماله وكثرة ما يملك والبحر محرماً والسدير  
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حتى إلى المات يصـير  
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارثهم هناك القبور  
ثم صاروا كأنهم ورق جفف فألوت به الصبا والدبور

وعلى هذا فصيح من شعراء الجاهلية كانت أهله يقيمون بالحيرة  
ويدينون بالنصرانية ولا يعده صاحب الأغاني من فحول الشعراء (١) .  
وزيد أبوه قضى فترة طفولته مع أولاد أحد المرزبة «فروخ ماهان» فتعلم  
القارسية ، وزكاه المرزبان عند كسرى بعد أن شب فجعله على بريده ،  
ثم عاملاله على الحيرة . وأما ابنه على فإنه ، إلى اجادته العربية ، قد أجاد  
كأبيه القارسية وجمع إلى فصاحته في اللغتين المهارة في الرمي بالنشاب واللعب  
بالصوألجة ، وكان إلى جانب هذا كله حسن الوجه ، مديد القامة ، حلو  
العينين ، حسن البسم نقي الثغرة (٢) ، مما مهد له السبيل في ديوان كسرى  
حتى كان أول من كتب في ديوانه بالعربية .

وأحب على هند بنت النعمان بن المنذر ، وتزوجها ولكن الوشاة أوغروا  
صدر النعمان عليه فحبسه في إحدى زياراته له . وعلى أشعر كثيرة وجهها  
من محبه إلى النعمان يستعطفه . ولما بلغ كسرى ما فعله النعمان بعلى كتب  
إليه مع رسول خاص ليطلق سراجه ، ولكنه قتلته مدعيًا أنه مات قبل وصول

(١) ص ٩٧ ج ٢ .

(٢) الأغاني - ص ١٣٠ ج ٢ .

الرسول . وترهبت هند بعد مقتل زوجها وحبست نفسها في اللدير المعروف  
بدير هند في ظاهر الحيرة وعاشت بعد الاسلام حتى توفيت على عهد معاوية .

وقد ندم النعمان على فعلته ، وأراد أن يكفر عنها فرشح زيد بن  
عدى بن زيد للعمل بديوان كسرى مكان أبيه . واستطاع زيد بعد أن ثبت  
أقدامه في ديوان كسرى وارتفع قدره عنده أن يثار لأبيه من النعمان الذي لقي حتفه  
على يدي كسرى بتدبير زيد . وانتصه طويلة في كتب التاريخ والأدب (١) .

وكسرى أنوشروان الذي يشير اليه الشاعر هو كسرى أنوشروان بن  
قباد بن فيروز أو كسرى الأول وكان من أعظم ملوك الدولة الساسانية ،  
وترتبه بينهم العشرون ودام حكمه ثمانيا وأربعين سنة (٥٣١ - ٥٧٨ م)

وأما سابور فلم يعينه الشاعر . وأول سابور هو سابور بن أردشير  
ابن بابك (٢٤١ - ٢٧٢ م) ، وثانيهم سابور بن هرمز المعروف بلدى  
الأكثاف وقد حكم حوالي سبعين سنة (٣٠٩ - ٣٧٩ م) وثالثهم سابور  
ابن سابور ذى الأكثاف (٣٨٣ - ٣٨٨ م) .

وأخرا الحضر الذى تعنيه الاشارة في البيت السادس هو الضييز بن  
بن معاوية وكان يملك أرض الجزيرة ويمتد حكمه حتى حدود الشام .  
ومن حوادثه مع الفرس أنه أغار عليهم ونكل بهم وأصاب في غارته أختا  
لسابور بن أردشير (٢٤١ - ٢٧٢ م) . وفي هذا النصر يقول عمرو بن الطليح

لقيناهم بجمع من علاف      وبالحليل الصلادمة الذكور  
فلاتت فارس منا نكالا      وقتلنا هرابد شهر زور  
دلنا للأعاجم من بعبد      بجمع م الجزيرة كالسمير (٢)

(١) راجع الأغاني ص ١٢٢ ج ٢ وغيره من كتب الأدب والتاريخ . راجع كذلك ص

(٢) الأغاني - ص ١٤١ ج ٢ .

ولما توجه سابور للانتقام منهم وقف أمام الحضرة ، قصر الضيعة ،  
حيال تكريت بين دجلة والفرات ، عاجزاً عن فتحه حتى رآته النضيرة  
بنت الضيعة ورآها سابور فعشقه وعشقتها ودلته على طريقة فتحها  
القصر ، وقتل أباهما الضيعة ، وأباد من كان معه من قومه وأهله . ولم ترح  
نفسه لبقاء النضيرة معه بعد خيانتها لأبها وأهلها فقتلها .

وأما رب الخورنق فهو النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأول  
أو الأكبر . وقد حكم ثمانيا وعشرين سنة عاصر فيها من ملوك الفرس  
يزدجرد الأول (يزدجرد بن سابور بن سابور ذي الأكتاف ٣٩٩ -  
٤٢٠ م) وابنه بهرام كور أو بهرام الخامس (٤٢٠ - ٤٣٨ م) . وكان للنعمان  
هذا كتيبان يحاربهما أعداءه تتكون الأولى من الفرس وأشبهما الشهباء  
وتألف الثانية من العرب وأسمها دوسر . وهو الذي بنى الخورنق . وكان  
سبب بنائه أن يزيدجرد بن سابور أرسل إليه ابنه بهرام جور (كور) ليقيم  
على تربيته ، فاتخذ له الخورنق مسكناً بناه له سنار الذي كوفى على مجهوده  
اسراً مكافأة .

والخورنق معرب خورنكاه أو خورنكه أو خورند . ومعناها مكان  
الأكل والشرب إذ كانت الموائد تنصب فيه . وقد غلط فريق من الكتاب  
والمؤرخين فزعموا أن الذي بناه هو النعمان بن المنذر . وليس هذا بصحيح  
لأن النعمان بن المنذر كان معاصراً لكسرى بربوز (٥٩٠ - ٦٢٨ م)  
ولم يكن معاصراً لبهرام جور الذي من أجله بنى الخورنق كما أجمعت المصادر .  
والصحيح ماقتناه من أن الذي بناه النعمان بن امرئ القيس الذي عاصر يزيدجرد  
بن سابور وكلف من قبله بترية ابنه بهرام وبناء هذا القصر لسكناه .

وأما السدير فيبدو من كتابات المؤرخين أنه يؤلف مع الخورنق قصرأ  
واحداً ، وغاية ما في الأمر أن الأخير وهو الخورنق بجانب من القصر خصص

للأكل والشراب ، وأن الأول وهو السدير خصص للتعبد وأداء الفرائض الدينية . ومن هنا كان طراز بنائه مناسباً لهذا الغرض إذ كان مبنياً على شكل ثلاث قب . ويقال إن السدير مكون في لفظه من سه دبر أى القباب الثلاث . ودبر بالهلوية بمعنى القبة (١) . وفى معرب الجواليقي ما يقرب من هذا التفسير (٢) .

\* \* \*

ولكسرى برويز صلوات واسعة مع العرب . ويكثر فى الأشعار العربية ذكر ما كان ينعم به من أنوان الترف ومظاهر الحضارة فن ذلك قول خالد الفياض :

والملك كسرى شهنشاہ تفنصه	سهم بریش جناح الموت مقطوب
إذا كان لذته شديز يركسه	وغنج شيرين والديباج والطيب
بالتار آلى يمينا شد ما غلظت	أن من بدا فتى الشديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشديز منجدلا	وكان ما مثله فى الحيل مركوب
ناحت عليه من الأوتار أربعة	بالتفارسية نوحا فيه تطريب
ورنم النهيد الأوتار فالتبت	من بحر راحته اليسرى شايب
فقال مات فقالوا أنت فهمت به	فأصبح الخنث عنه وهو مجذوب
لولا النهيد والأوتار تندبه	لم يستطع نعى شديز المرازيب (٣)

الإشارة الأولى فى هذا الشعر هى الشهنشاہ . والشهنشاہ الذى يعنيه الشاعر هو خسرو برويز أو كسرى أبرويز كما يسميه العرب . ولكسرى أبرويز شأن يذكر فى حوادث العرب والمسلمين . وقد روى أنه لما جمع ما لبثت النعمان ابن المنذر ونساء أسرته من الحسن والجمال أراد أن يصهر اليه وأرسل

(١) الألفاظ الفارسية العربية - ادى شير .

(٢) معرب الجواليقي مادة سدير .

(٣) معجم البلدان - ص ٢٥٢ ج ٣ ط لبيزج .

زيد بن عدى يقاتحه في الأمر وهو يظن أن النعمان سيلبي الطلب فخوراً بهذا الشرف الذي بمنحة اياه كسرى العظيم . ولكن النعمان خيب ظن كسرى واعتذر لرسوله ، ووجد زيد الفرصة سانحة فأوغر على النعمان صدر الملك الذي بيت له الشر وارجأ التنفيذ حتى لا يفتن إلى ما أراده به . وبعد زمن ورد إلى النعمان كتاب كسرى يدعو به فجمع النعمان أهله وماله وسلاحه وسار حتى نزل عند بني شيان في ذي قار . وكان سيدها هانيء بن مسعود بن عمرو الشيباني فأودعه ما جمعه وتوجه إلى كسرى الذي طرحه تحت أقدام الغيلة فداسته حتى مات (١) واستعمل بعده على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي وكلفه أن يجمع ما خلفه النعمان وأن يرسله إليه ، فبعث إياس إلى هانيء بأمره أن يقدم إليه ما لديه من ودائع النعمان فأبى هانيء ، فأرسل إليهم كسرى جيشاً كثيفاً لقيه العرب عند ذي قار ودارت بين الفريقين المعركة التي انتهت بانهزام العجم والتي تعرف في تواريخ العرب بيوم ذي قار . وأشعار العرب في ذكر هذه الواقعة والفخر بها كثيرة . وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا النصر قال « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم وبى نصروا (٢) »

وكسرى ابرويز هو الذي ينسب إليه أغلب المؤرخين أنه بنى ايوان المدائن المعروفة، ولما فرغ من بنائه عقد عليه طاقاً (٣) وكان في هذا الطاق حلقة كبيرة من الذهب يتدلى منها سلسلة من الذهب الأحمر مرصعة باللؤلؤ والجواهر فاذا جلس الملك في الايوان علق تاجه من هذه السلسلة فيجلس تحت التاج على تخت العاج (٤) . وكان عند كسرى عدد كبير من الكهان والسحرة والمنجمين يجمعهم كلما أحزنه أمر لينظروا في سببه وليجدوا له مخرجاً منه . ولما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم نداعى هذا الطاق ، فجزع كسرى ودعا كهانه وسحاره ومنجميه ليبحثوا الأمر وكان بين كهانه

(١) في رواية أخرى أنه حبسه حتى مات .

(٢) ابن الأثير - ص ١٩٥ ج ١ .

(٣) الطاق ما حطفت من الأبنية صرب هناه وهي الضيقة أو الضيقة .

(٤) الشافعية قصة بناء خسرو الطاق ص ٢٨٧٧-٢٨٨٦ ج ٩ والترجمة العربية ص ٢٤٤ ج ٢

رجل من العرب اسمه السائب فبات ليلة ظلماء على ربوة من الأرض فرأى برقاً قد ومض في الحجاز واستطار حتى بلغ المشرق فأدرك أن أمراً خطيراً قد حدث هناك . ولما خلا الكهان بعضهم إلى بعض وحدثهم السائب بما رأى قالوا « إنه لنبي بعث أو هو مبعوث يطلب الملك ويكسره (١) » واتفقوا فيما بينهم أن يكتفوا الأمر عن كسرى خوفاً على حياتهم ، ونصحوه أن يعيد بناء الطاق ففعل ولم يكده يدخل البناء ويجلس مع أساورته حتى انتفض من جديد وكاد يهلك ، وعاود البناء ثلاثة أعاد البناء إلى الانتفاض . وكان ذلك نذيراً بزوال ملكه .

وليعض الشعراء في هذا النطاق وماحواه من الرسوم والنقوش :

بستان طاق ليس في الأرض مثله	وفيه تصاوير من الصخر محكم
وبروز فيه والمرائب حسوله	وشيرين لتقيم وشيخ مززم
وبهرام جور والمقاول مثل	وشروين فيهم قاعد متعم
وخرين قد اجري وأوى بسهمه	إلى طفلة حمانه لا تكلم
ومويذهم في الطاق صور غيرة	وهزبدهم بالجهل والجور يحكم
وكث يحوز الماء في النهر واقف	ليقسم فيما بينهم ليس يظلم
وأسراب عين والكلاب تحوشها	وطرف عليه المرزيان المكرم
وصور فيه كل وحش وطائر	من الطير والعنقاء ما الله أعلم
وأسد وصيران وشاء وأعنز	وحيتان بحر في السفين تعوم
ومادب من ذر ونمل وعقرب	وفيل ونيال عليه يدمدم
وقبح ودراج وظبي وأرنسب	وباز وصقر قد يصيد وقشع
ومكتب صبيان وتأديب غلمة	وشيخ عديم قيل هذا معلم
وصور فطوس على الطاق ننه	عليه جناحاً طائر لا يحوم
فبحان رب سحر الصخر عنوة	فصور فيه كل شيء مقوم
لقد أبدع الرومي في الطاق بدعة	أقر له بالخلق عرب وأعجم (٢)

(١) ابن الأثير - ص ١٩٥ ج ١ .

(٢) مختصر البلدان - ص ٢١٦ .

وهذا الإيوان هو الذي قال عنه البحري :

وكان الإيوان من عجب الصنعة جوب في جنب أرعن جلس  
حكمت حظه الميالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدي تجلداً وعليه  
ليس يلدري أصنع أنس لجن  
كلكل من كلاكل الدهر مرسي  
سكنوه أم صنع جن لأنس (١)

وفيه أيضاً يقول ابن الحاجب :

ان سخاني زمن فن ذا الذي  
أخني على عاد وأهلك تبعاً  
وأزال ملك الفرس بعد ثبوته  
آثارهم تبييك عن أخبارهم  
هل سمعت أذنك مثل حديثهم  
تصر يكاد يرد حن بنائسه  
وكانها في ومط كل دجنسة  
أو فية شربوا فأحدث فيهم  
وضعوا الأكف على الحصور ورفعوا  
مصطفة كبناات نعش من ذرى  
ومعكران لكل حرب منهما  
جيشان لو وقع التناجز منهما  
لولا وقوع اليأس من حركاتهم

لم تستبحه خيانة الأزمان  
وخنا بكلكله على النعمان  
ومطا بكرهاها أنو شروان  
نصا وليس مغيب كعيان  
أو عاينت عينك كالإيوان  
بصراء عنه نواظر العميان  
نار تشب لعابد الرهبان  
فعل الشراب غيلة النشوان  
فوق الرعوس أكلة المرجان  
على السموك مرقق البنيان  
رجل أمام مواقف الفرسان  
لم يبق من جمعها رجلاان  
لظننت أنهما سيققتلان (٢)

وكسرى هذا هو الذي جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في السنة السابعة والثلاثين من ملكه (٣) يدعوه إلى الإسلام فعجب من  
جرأة محمد « كيف يقدم اسمه على اسمي في كتابه (٤) » ومزق الكتاب فدعا

(١) ديوان البحري - ص ١٦٩ ج ١ ط الأديبة بيروت . ١٩١١

(٢) مختصر البلدان - ص ١٢٣ .

(٣) مدة حكم عثمان وثلاثون سنة .

(٤) نرس ننه - ص ١٠٦ ط لستانج ونيكسون .

عليه النبي «مزق الله ملكه كما مزق كتابي» . ويقول حمد الله المستوفى إنه بسبب هذا الدعاء عليه اضطرب ملكه بعد ذلك وخرج عليه ابنه شيرويه وقتله (١) .

وكان كسرى يحيا حياة في غاية الترف . ويكفي أن ننقل هنا ما ورد عنه في الشاهنامه «كان من عاداته إذا ركب أن يقاد له ثلاثمائة جنبيه بعدة الذهب ويسمى بين يديه ألف وستة وستون راجلا بأيديهم المزاريق ، وألف وأربعون بأيديهم السيوف والعصى ، ويخرج معه سبعمائة من البازداريه (٢) وثلاثمائة من الفهادين وسبعون أسداً وعمراً معلمة مجللة بالديباج مشدودة الأفواه بحلائل الذهب ، ويستصحب ألف عواد على رؤوسهم أكاليل الذهب ومائتي غلام على يد كل واحد منهم مجمر يوقد فيه العمود والعنبر في الموكب ومائتي نفس من الشبان معهم الرجس والزعفران يتقدمون الموكب حتى ترد الريح ريحها إلى مشام الملك وقدام هؤلاء مائة سقاء معهم قرب الماء يرشون الطريق حتى لو هب هواء لم يحمل غباراً من الأرض فيمسه به (٣)» .

والإشارة الثانية في هذا النص هي شيديز . وكان شيديز هذا فرساً تام الحلقة بديع التكوين كامل التدريب والإعداد فكان لما اجتمع فيه من الصفات النادرة أحب دواب كسرى إلى نفسه . وحدث أن اعتل شيديز والحت عليه العلة وعرف ابرويز ما يعانيه فرسه المحبوب من اشتداد المرض ودنو الأجل فأقسم ليقطن من يتعاه اليه . فلما نفق شيديز خاف صاحب خيله أن يسأله ابرويز عنه فيخبره بنفوقه فيكون في هذا هلاكه . ولجأ إلى بربد معني الملك وأخبره بموت شيديز وأغراه بالطائل من الأموال حتى يحتمل له حيلة تنقله

(١) تاريخ كزنده - ص ١٢١ ط براون .

(٢) حلة صقور نصيد .

(٣) الشاهنامه - ص ٢٨٩١ ج ٩ والترجمة العربية ص ٢٣٩ وراجع أيضاً تاريخ كزنده

ص ١٢١ .

من موقفه وتحفظ عليه حياته . ولم يجد المعنى - وكان كذلك شاعراً - خيراً من أن ينظم الخمر ويلمسه في بعض أغانيه التي يفتن بها أمام الملك . وقد استطاع بريد براحته في النظم والغناء أن ينهي إلى الملك خبر نفوق شيديز في أسلوب غير مباشر وعبارة غير صريحة . فلما سمع الملك الأغنية فهم أن شيديز قد مات فصاح « مات شيديز » فقال بريد على الفور « لم ألقها يا مولاي . أنت قلتها » . فقال الملك « زه ما أحسن ما لجأت إليه فخلصت نفسك وخلصت غيرك » وجزع على فرسه جزعاً عظيماً وأراد أن يخلد ذكره فأمر فطوس بن سنار (١) الذي نحت له تمثالا في الصخر (٢) يبلغ من دقة الصناعة وروعة التصوير مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن يفرقه عن الأصل سوى الروح ، وصور بجانبه شيرين محبوبة الملك كما صور الملك وقد ركب فرسه .. وحين شاهد الملك التمثال أذهلته دقة صناعته فخشع أمامه واستعبر وذكر حال الدنيا ومصير الأحياء .

شيرين . والاشارة الثالثة هي « شيرين؟ » (٣) . وكانت شيرين محبوبة كسرى ابرويز . وقد اختلف في أصلها فالشاهنامه تعتبرها فارسية . وحدا الله المستوفى يعتبرها أرمنية ويذكر أن ابرويز حين ذهب إلى بلاد الأرمن عشقها كانت ابنة ملكهم (٤) . ومنهم من يقول إنها كانت رومية ، وإن شيرين قد حرفت عن « ابريني » أو « سيراه » (٥) .

وكان كسرى قد أمر فأعدوا له حديقة عظيمة قضاها في اعدادها سبع سنين وجمعوا فيها من كل أصناف الطير . ولما فرغوا من اعدادها احتفل ابرويز بافتتاحها (٦) ، وشرب وسكر ، وقال لمحبوبته شيرين في نشوة سكره

- 
- (١) أبوه سنار هو الذي بنى الخورنق .
  - (٢) في جبل يستون بين حلوان وقرميسين .
  - (٣) الشاهنامه قصة خسرو برويز وشيرين ص ٢٨٦٨ ج ٩ ط بروخيم . طهران .
  - (٤) تاريخ كزنده ص ١٢٠ ط برآون .
  - (٥) تعليقات هزام على الترجمة العربية ج ٢ ص ٢٣٩ .
  - (٦) في المكان المعروف بقصر شيرين .

سلبني حاجتك . فطلبت منه أن يكون لما في هذا البستان العظيم نهران من  
حجارة يجري فيهما الخمر واللبن ، فوعدها بذلك ، ولكنه لما أفق نسي  
وعده ، وخجلت شيرين أن تذكره به فلجأت إلى مغتيه بربد الذي هيا  
أعنية ذكر الملك فيها بما نسيه . وقد وثق الملك بوعده وبني النهرين (١) .

وفي ابرويذ وشبديز يقول أبو عمران الكسروي :

وهم نفرؤا شبديز في الصخر عبرة      وراكبه برويز كاليدر طالع  
عليه بهاء الملك والوفد عكف      يخال به فجر من الأفق ساطع  
تلاحظه شيرين واللمحظ فاتن      وتعطر بكف حنتها الأشاجع  
يدوم على كر الحديدين شخصه      ويلقى قويم الجسم واللون ناصع (٢)

ويروى أن بعض الملوك مر هناك فراقه المكان وأعجبه الثمان فطلب الخلق  
والزعفران فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يمححم لما      خلق الوجه منه بالزعفران  
وكان الحمام كسرى وشيرين مسع      الشيخ مويذ الموبذان (٣)  
من خلق قد ضمخوم جميعاً      أصبحوا في مطارف الأرجوان (٤)

ويقال إن شيرين كان لها عاشق آخر اسمه فرهاد . فلما سمع الملك بأمره  
كلفه أن يشق طريقاً في جبل بيتون ووعده إن أتم العمل أن يزوجه شيرين .  
وكان على ثقة أنه لن يقدر . ولكن فرهاد استطاع أن يشق الطريق ولم يفتقر  
رغم هذا بشيرين . وكان مثله مع شيرين مثل المحنون مع ليلي . وفي ذلك  
يقول الشاعر :

(١) مختصر البلدان لابن الفقيه ص ١٥٨ ط ليدن .

(٢) معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٢ ط ليزج .

(٣) ذكر المويذ الموبذان (وهو كبير رجال الدين) لأن خسرو كان تدعاه وأمره أن يزوجه

شيرين

(٤) معجم البلدان ص ٢٥٢ ج ٢ ط ليزج .

صارت شيرين من نصيب خسرو وفرهاد يقطع الأحجار عثا (١)

أما البهلبد فهو بريد نفسه معنى كسرى الذى سبقت الإشارة إليه (٢). ويقال له فى المصادر العربية بيزيد ، بريد ، بلبد ، بلبد ، فهربد ، فهربد . وكان بريد هذا آية زمانه فى الموسيقى والغناء . وكان يقول الشعر أيضاً ولكن غلب عليه الغناء والموسيقى . ولم يعتبر عرفى أغانيه من الشعر لأنها فى نظره يعوزها الوزن والثقافية (٣). ولو كان عوفى قد قدم لنا مثلاً واحداً من أغاني بريد لأفادنا فائدة كبيرة ، ويسر لنا سبيل الحكم عليها حكماً فديكون أقل قسوة من حكمه . وعلى العموم فإن المؤرخين قد أجمعوا على تقديم بريد ولوغته الغاية فى فن الغناء والموسيقى . ويذكر صاحب تاريخ كربدة أن أساتذة الموسيقى كانوا يتخذون آراءه فى هذا الفن حجة ويفترقون من فيض علمه كما يذكر أنه قد ألف ثلاثمائة وستين أغنية يعنى واحدة منها كل ليلة فى مجلس الملك .

والبهلبد هذا هو الذى يعنيه البحرى فى قصيدته السابقة التى مطلعها  
« صنت نعى عما يدنس نعى » حين يقول :

قد سقانى ولم يصرد أبو الفـوث على العسكرين شربة خلس  
من مدام تقوطا هى نجم أضوا الليل أو مجاجة شمس  
وتراها إذا أجذت سروراً وارتياحا للشارب المتحسى  
أفرغت فى الرجاج من كل قلب فهى محبوبة إلى كل نفس  
وتوهمت أن كسرى أبرويز معاطى والبهلبد أنسىسى (٤)

ومما يذكر أن القرمس فى العهود الاسلامية قد صاروا على نمط الساسانيين فكان كبار الشعراء يجمعون إلى فن الشعر البراعة فى فن الموسيقى والغناء

(١) لعل شيرين نصيب خسرو شـ سدك يهرده كنه فرهاد

(٢) اشاعنامه ص ٢٨٨٢ ج ٩ ط بروخيم . طهران .

(٣) لياب الألباب ص ١٣ ج ١ ط براون .

(٤) ديوان البحرى ج ١ ص ١٦٩ ط الأدبية بيروت ١٩٦١ .

كالرودكى شاعر السامانيين والفرخى شاعر الغزنين وكان ابن الرودكى شاعر السامانيين فى العهد الاسلامى وبين بربد (جلند) شاعر الساسانيين ومغنيهم فيما قبل الاسلام كثير من أوجه الشبه . فقد كان كل منهما شاعراً ومغنياً وملحناً . وكان كل منهما ينشد الشعر مصحوباً بالغناء والموسيقى ، كما كان كل واحد منهما على المكانة عند مليكه ينهى اليه أدق الأخبار فى أبرع قالب . وكما استعان رجال كسرى أبرويز بربد ليخبره فى ثانياً أغانيه بموت فرسه الشديز استعانت حاشية نصر بن أحمد الساماني بالرودكى ليغرى الأمير بالعودة إلى بخارى . وكان الأمير فى ذلك الوقت مقبياً فى هراه وقد أعجبه ماؤها وهواؤها ، وطاب له جوها وأمرها فأطال الإقامة فيها ، وأجل الرحيل عنها من فصل إلى فصل حتى انقضى عليه هناك أربع سنوات فسم رجال الحاشية والجلند ، وحنوا إلى ذوبهم وديارهم فى بخارى عاصمة الملك . وهداهم التذكير إلى الاستمعة بالأمستاد الرودكى ، فعرضوا الأمر عليه ، ووعدوه بخمسة آلاف دينار ان استطاع أن يصرف هوى الأمير عن هراه ، وأن يحرك فيه الحنين إلى بخارى فيرحل اليها . ويقول النظامى العروضى إن الرودكى كان يعرف مزاج الأمير وإن النثر لا يؤثر فيه ، فأنجحه إلى النظم ، وأعد قصيدة دخل بها على الأمير وقت الصباح ، واتخذ مكانه فى مجلسه حتى إذا سمع له بدأ يغنى فى لحن العشايق :

ما زال يبب علينا أرج نهر جيجون وما زال يبب علينا عرف الحبيب (١)

إلى أن قال :

إن الأمير قمر وبخارى هى السماء  
 واقمر نحو السماء يتجهه  
 إن الأمير مرو وبخارى هى البستان  
 والمرو يقبل نحو البستان (٢)

بوى يار مهربان آيدمى  
 ماه سوى آمان آيدمى  
 مرو سوى بوستان آيدمى

(١) بوى جوى موليان آيدمى  
 (٢) مير ماهست وبخارا آمان  
 مير مرواست وبخارا بوستان

ويتابع النضاي روايته فيقول ، وهنا انفعل الأمير ونزل عن عرشه متأثراً فركب حصانه ، وقد نسي أن يتنعل من العجلة ، واتجه على الفور الى بخاري فحملوا اليه حذاءه حتى يروته على بعد فرسخين وهناك لبسه . ولم يرجع على مكان حتى بلغ بخاري (١) .

وقد اعترف معاصروالروديكي وبريد لهما بالسبق فيما مارساه من الروان الفن . ولشدة ما بين الاثنين من شبه في المكانة والظروف قرنها المجلدى الحرجاني في قوله :

من متع هذه الدنيا المتسروعة  
 ماذا بقي لآل سامان وآل سامان  
 بقي ثناء الروديكي ومدحه  
 وبقيت أغاني بربسند وقصصه (٢)

وبما عرفه العرب من ترف كسرى برويز ولم يذكره النص بساطه المعروف باسم بهاز كسرى ويسميه العرب القطيف . وكان قطعة واحدة ستين ذراعاً في ستين متسوجاً من النسيج الذهب . وكانوا يعدونه للشاء إذا ذهب الرياحين فرشوه وشربوا فرقه فكأنهم في روضة من رياض الربيع لكثرة ما نقشوا عليه من الورود والرياحين والأشجار والثمار وجعلوا الخنازل فيه من زمرد وصنعوا النهر من لؤلؤ والأشجار والثمار والورود كلها من الماس والياقوت . وقد ظفر العرب بهذا القطيف بين ما ضفروا به من غنائم المدائن ، وأثار مشكفة أمامهم فكيف يوزعونه على الثامحين وكيف يفرقونه فيما بينهم . ولما عجزوا أرسلوه إلى عمر ليرى رأيه فيه . ولم يكن عمر أقل حيرة منهم فجمع الناس ليستمروهم في أمر الإساط ، واستقر الرأي أخيراً على تقطيعه وتقسيمه بين الناس فأصاب عليها قطعة منه باعها بعشرين ألفاً ولم تكن مع ذلك بأجود القطع (٣) .

(١) بهار مقاله ص ٢٩ ط طهران .

(٢) از آن چند ان نعم ابن جهسائی  
 ثانی رودکی ماندهست ومدحت

که ماند بز آل سامان وآل سامان  
 نوابی بارید ماندهست ومدحت

(٣) انطربی - ص ١٣٠ ج ٢ .

وللشعبوية شأن كبير في الأدب العربي . وقد وجدوا في الشعر مجالا واسعا للهجوم على العرب وقد أشرنا في القسم الأول من هذا البحث إشارة موجزة إلى الشعبوية وموقفها من العرب في العهد الأموي والعباسي . ولا حاجة بنا إلى تفصيل الكلام في الشعبوية فالقصد إلى أشعارهم أفضل والاتجاه إلى النصوص أولى .

ومن شعراء الشعبوية المشهورين أبو نواس . والحقيقة أنه وإن كان قد قسا على العرب في هجائهم إلا أنه كان ينتسب تارة إلى القحطانية كما في القصيدة التي مرت بنا من قبل (١) وتارة أخرى إلى الفرس . ومن لاذع قوله في هجاء العرب .

عاج الحقى على رسم يائله      وعجت أسأل عن خسارة البلد  
يبكى على طلال الماضين من أمس      لا در درك قسلى من بنو أمس  
ومن تميم ومن قيس ولقهمسا      ليس الأعراب عند الله من أحد  
لا جف دمع الذى يبكى على حجر      ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد(٢)

ويقول في موضع آخر يتحدث عن الخمر :

كانت على عهد نوح في سفينة      من حرشحتها والأرض والطوفان  
تلم تزل معجم الدنيا وتعجمها      حتى تخيرها للخبء دهقان  
فشأها في مغار الأرض فاختلفت      على الدفينة أزمان وأزمان  
بيلدة لم فصل كلب بها طيبا      إلى خبء ولا عيس وذبيسان  
ليت لذهل ولا شيبانها وطنا      لكنها لبى الأحرار أوطان  
أرض يبنى بها كبرى دساكرة      فابها من بنى الرعاء انسان  
وما بها من هشيم العرب عرفجة      ولا بها من غذاء العرب حطبان  
لكن بها جطار قسد نعرعه      آمن وكلله ورد وموسسان(٣)

(١) راجع ص .

(٢) الديوان - ص ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر - ص ٢٤٢ .

ويقول في هجاء الأعراب والأعرابيات وذم عيشهم :

دع الرسم الذي دثرا      يقاسي الريح والمطرا  
وكن رجلا أضع العلم في التلذذات والمطرا  
ألم تمر ما بين كسرى      وما بور لمن غسيرة  
منازه بين دجلة والفرات أخصبها الشجرا  
لأرض باعد الرحمن عنها الطلح والشجرا  
ولم يجعل مصايدها      يرابعها ولا وحرا  
ولكن حور غزلان      تراعى بالملا بقرا  
وان شئت ما حثت الطير      من حافاتها زهرا  
خشتارا ونحاما      ترى بوجودها غورا  
وان قلنا اقلوا عنكم      بينا شربها الحمرا  
أناك حليب صافية      بهذا قطعنا ومعتصرا  
فذاك العيش لا يبدأ      بقفرتها ولا وبرها  
بعازب حرة يملتي      بها العصفور من حجرا  
إذا ما كنت بالأثباء      في الأعراب معتصرا  
فإنك أعمار جبل      وردت فلم تجد صدرا  
ومن عجب لعشقم      الحفافة الخلف والصحرا  
قتيل مرقش - أودي      ولم يعجز وقصد قبرا  
وقال الجاهل الموطأ      عشا الأنجار والغورا  
فقد أودي بن عجلائ      ولم يظن بسسه خجرا  
فحدث كاذبا عنه      وقال بغير ما شمرا  
ولو كان ابن عجلائ      من السلوى كما ذكره  
لكان أدم عهداً في المـ      وي وأجسه عسرا  
تعش جنسه جنس      وقابل شدتها كجرا  
تعهد الشيخ والقيصوم      والفقهاء والسمررا

جنى الآس والنرين والموان من زهرا  
ويغنيها عن المرجان أن تتقلد البعرا  
وتفرد في براجدها تصيد الذئب وانمرا

وفي هذه النصوص من شعر أبي نواس أمثلة مما يناجم به الشعوبية العرب . فالعرب أهل بدآوة وفقر ، عيشهم مذموم ، ومكثهم حقير ، وطعامهم تعافه النفس ، ثم هم إلى جانب هذا أهل مذاجة وغفلة يقفون على الطائر ، ويعوجون على الرسوم ، ويكفون على الأحجار ، وتضبو قلوبهم إلى الأوتاد ، ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ولا يفرقون بين الشيخ والقيصوم وبين الآس والنرين ، وتشتغى نساؤهم بالبعر عن المرجان ومن مثالب العرب كذلك في نظر الشعوبية أنهم يفخرون بالآباء والأجداد ، ويتكلمون عن الأحساب ، مع أن الناس كلهم لأب وأم ، خلقتوا من التراب وإلى التراب يعودون ومن تعقل لم يفخر ويتكبر ، ثم ما هذه الأنساب التي يرجعون إليها . لقد كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد نكاح فكيف يعرف الابن آباءه ، وكانت نساؤهم تسي وتوطأ ثم يستفقدون بعد ذلك فيفخر العربي بذلك . ولم يكن لهم حكمة ولا صناعة ولا فلسفة فكانوا يعيشون في مجتمع ينقصه النظام والقانون والعدالة كمجتمع الذئب والوحوش يأكل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض .. إلى غير هذا من المثالب مما تجده مفصلا في المصادر (١) .

ومن شعر الشعوبية قصيدة ابراهيم بن محاذ المتوكلي :

أنا ابن الأكارم من نسل جم	وحائز إرث ملوك العجم
ويحيى الذي باد من عزهم	وعفى عليه طران القدم
وظالب أوتارهم جهرة	فن نام عن حقهم لم أتم
يسم الأنعام بلسانهم	ونفسى تم بسوق الهم

(١) الديوان - ص ١٦٤ .

(٢) راجع مثلا المقدم الفريد - ص ٤٠٣ ج ٣ .

إلى كل أمر رفيع العماد  
 وإن لآمل من ذى العسلا  
 معى علم الكايبان الذى  
 فقل لبنى هشام أجمعين  
 ملكناكم عنوة بالرمساح  
 وأولاكم الملك أباننا  
 فعودوا إلى أرضكم بالحجاز  
 فأنى ساعلو سرير الملوك  
 طويل النجاد سيف العلم  
 بلوغ مرادى بغير التسم  
 به ارتجى أن أسود الأمم  
 هلموا إلى الخلع قبل الندم  
 طعنا وضربا بسيف خدم  
 فما أن وفيتم بشكر النعم  
 لأكل الضباب ورعى الغنم  
 محمد الحسام وحرف القلم (١)

وابراهيم هذا فارسى الأصل من رستاق جى ، اتصل بالخليفة المتوكل  
 وكتب له ، وصار من أهل الحظوة عنده فنب إليه ثم كره بعد المتوكل  
 حجة أولاده فترك العراق واتصل بيعتوب بن النيث . ولما اطمأن به المقام  
 عند يعتوب فاض لسانه بما يضر قلبه للعرب من كرهه وحقد ، ولم يستح  
 أن يوجه إلى الخليفة المعتمد بالأبيات السابقة . وهو فى هذه الأبيات يفخر  
 بفارسيته ويصل نسبه بالملك جم (حميد) من ملوك الأسرة البيشداية .  
 وفى البيت السابع يشير الشاعر إلى قصة علم الكايبان ، واسمه «درفش  
 كاويان» أو العلم الجاوى . وترجع قصة هذا العلم إلى عهد الضحاك (٢)  
 الذى طغى وبغى وقتل كثيراً من الخلق حتى ضج الناس من هذا الظفيان  
 والبغى . وكان ممن وترهم الضحاك حداد يسمى صكاوه (جاوه) قتل  
 أحد ولديه وهم بأن يقتل الثانى فلم يطق الحداد صبراً فخرج نائراً وتبعه  
 فى ثورته خلائق كثيرة من العامة الذين ضاقوا ذرعاً بهذه المظالم . ويقال إن  
 جاوه فى تزعمه لهذه الثورة كان يرفع جلدة الحدادة التى يتقى الحدادون بها الشرر  
 على رأس عصا فكانت بذلك أشبه بالعلم . واتجه جاوه ومن معه من الجموع

(١) سجع الادب - ج ٣ ط رفاى .

(٢) يذكر الضحاك بأسماء كثيرة منها ازدهلق ، ازدهاق ، زيوراب ، زيوراب .  
 وقد خلطوا كثيراً فى أصل الضحاك . راجع ص .

الناثرة إلى أفريدون وكان معروفاً بالعدل والاحسان وتنادوا به ملكاً على البلاد . وقبل أفريدون الملك وانضم إلى الشعب في قتال الضحاك حتى هزمه وقضى عليه . وتيمن أفريدون بتلك الراية التي كان يرفعها جاوه واعتبرها فألا حنا . وسميت منذ ذلك الوقت « درفش كاوياني » نسبة إليه . وكان ملوك الفرس يقيمون بها ويتوازثونها ويزينونها اعتقاداً منهم أنها تجلب النصر والظفر واحتفل أفريدون بيوم توليه العرش احتفالاً عظيماً وصادف ذلك اليوم ، اليوم الأول من شهر مهر ، وصار بعد ذلك عيداً من أعياد الفرس هو المعروف بعيد المهرجان .

ويتأدى الشاعر في قحته على رب نعمته السابق ، ويميره والعرب ماضيه في البداوة وشظف عيشهم وقتذاك حين كانوا يرعون الغنم ويأكلون الضباب . والحق أن العرب يعترفون ماضيهم ولا يتذكرون له لأنهم يفخرون بالنظور الذي صاروا إليه بفضل الإسلام . وبما يروى أن يزود جرد حين استقبل وفد العرب ، الذي جاء بدعوه إلى الإسلام قبل غزو بلاده ، أخذ ينتقص من قدرهم ، ويشير إلى فقرهم ، وسوء عيشهم ، وشرع بعد ذلك يعدم ويمسهم ، ويقول لهم « إن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم (١) » . لعله يستميلهم بذلك ويصرفهم عن غزو بلاده . فانبرى له المغيرة بن زرارة ابن النباش الأسيدي فقال من جملة كلامه « أما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فترى ذلك طعامنا وأما المنازل فانما هي ظهر الأرض ولا نلبس الا ما غزلنا من أوبار الأبل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً تعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضاً وحسبه خير أحسابنا وبيتسه أعظم بيوتنا .. الخ (٢) »

(١) الطبري - ص ١٧ ج ٣ .

(٢) نفس المصدر والمزم - ص ١٨ .

ومن المناظرات الطريفة بين العرب والفرس تلك المناظرة التي حدثت في مجلس الصحابي بن عباد فقد دخل عليه أحد الشعراء وأشده شعراً فخر فيه بأصله الفارسي ، وفضل قومه ، وهجا العرب وقال :

وعن عنس تذافسره ذمور ففي است أم القضاة مع العدول لتوضح أو الحومل فاللخول ها يعوى وليث وسط غيبل جراشا بالغمسداة وبالأصيل وإن نحروا ففي عرس جليل نجمار الصحابي القرم الكليل وجيلهم بذلك خير جليل	غيبنا بالطبول عن الطلول وأذهلني عقار عن عقار فلمت بتسارك ايوان كسرى وضب بالفلا سلع وذئب يسلون اليوف لسرأس ضب إذا ذبحوا فذلك يوم عبيد أما لو لم يكن للفرس إلا لكان لهم بذلك خير فخر
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وكان البديع الهمداني حاضراً فنظر إليه الصحابي يدعوه إلى الرد على هذا الشاعر والانتصار لعرب فقال :

عما أودعت لفظك من فضول متى احتجاج انتهى إلى دليل وأن الجزى أولى بالدليل متى عرف الأعرس من الحجول أكف القرمس أعراف الخيول على قحطان والبيت الأصيل وذلك فخر ربات الحجول وفرع في مفارقتها رسيل عراة كالليوث على الخيول (١)	أراك على شفا خطر مهول تريد على مكرمتنا دليل ألمنا الضاربين جزى عليكم متى تسرع المنسابر فارسي متى عرفت وأنت بها زعيم فخرت بملء ما ضعتك هجرا وتفخر أن مأكولا ولبسا فقاخرهن في خمد أصيل وأجد من أيبك إذا تزيما
-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) بلوغ الأرب للأدبي - ص ١٦٠ ج ١ .

وهورد مقحم دحض كثيراً من حجج الشعوبية الثافهة . فما فخر بايوان  
أويماكول وملبوس ؟ .

وقد ضاق العرب ذرعاً بهذه العصبية الفارسية ، وهذا الهجوم على  
أهل البيت الأصلاء فائبرى فزريق من شعراء العرب يدفعون عن العرب  
وينالون من الفرس . ومن هؤلاء أبو الأسد الذي يقول :

قبل البسار وأنتم في التبانين  
تمشون في القسز والقوهى واللين  
يصحن تحت الدوالى بالوراشين  
طوائف الخبز من دكن وطارون  
رحلهن كثنواً في الشقابين  
نحن الشاريج أولاد الدهاقين  
لقان من فخره إني ابن شوبين  
فمن يفاخرني أم من يناويحني  
دعوى النبيط وهم بيض الشياطين  
كما أدعى الضب أني نطفة النون  
يفرى ويصدع خوفاً قلب ترازون  
عن انهم واستبدوا بالبرازين  
دور الملوك وأبواب السلاطين  
عداوة لرسول الله في السدين  
شر الخليفة ياغمر الثعابين  
وهاشم مرجها الشم العرانيين  
يزرون بالنبيط النكز الملاعين  
فما يناسب كسرى غير حمدون  
يتبيلك عن كسرى الجند ميمون  
فانظر إلى حسب باد ومخزون (١)

صنع من الله أني كنت أعرفكم  
فما مضت سنة حتى رايتكم  
وفي المشاريق مازالت نساؤكم  
قصرن يرقفن في وشى العراق وفي  
أنين قطع الحلاق من معادنها  
حتى إذا أسروا قالوا وقد كذبوا  
لو سيل أوضعهم قدرا وأنظلم  
وقال أفضعنى كسرى وورثنى  
من ذا يخبر كسرى وهو في سفر  
وأنهم زعموا أن قد ولدتهم  
فكان ينحر جوف النار واحدة  
أما تراهم وقد حطوا برادعهم  
وأفرجوا عن مشارب القول إلى  
تغلى على العرب من غيظ مراجلهم  
فقل لهم وهو أهل لتزيينة  
ما الناس إلا نزار في أرومتها  
والحنى من سلفى قحطان إنهم  
فما على ظهرها خلق له حسب  
قدرم عليه شهنشايمية ونبا  
وان شككت فنى الايوان صورته

(١) الأغاني - ص ١٦٩ ج ١٢ ط التكم .

وأبو الأمد صاحب هذه القصيدة من شعراء الدولة العباسية عربي من بني شيان واسمه نباته بن عبد الله . اتصل بانفيض بن صالح وزير المهدي العباسي وله فيه مدائح كثيرة . ويروى صاحب الأغاني عن المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة أن أبا الأمد كانت له حاجة عند بعض الوزراء فعسى عند أحد الكتاب وهو علي بن يحيى المنجم ليقضيها له عند الوزير ولكنه لم يفعل ، وعلم بخبر هذه الحاجة حمدون ابن اسمعيل فقضاها له فقال هذه القصيدة يهجو الأول ويمدح الثاني . ومن القصيدة يتضح أن المدوح والمهجو كليهما من أصل فارسي : إلا أن حمدون وهو المدوح كريم المحدث طيب العنصر بينما كان المهجو وضعيف الأصل فاسد النسب ، يصل نفسه بملوك الفرس زوراً وبهتاناً ، وإنما هو من عامتهم وسوقهم . وعبر الشاعر عن هذا بأنه من النبط وهي كلمة تستعمل في معناها العام للدلالة على اختلاط الناس وعوامهم ، ووصف حاله أيام الفقر والمسغبة حين كان أهله يعيشون في المشرق ، ثم حاله بعد أن قدم العراق وأيسر وما هي الامنة قضاها في العراق حتى تحول الإعصار يساراً والفاقة والعوز غنى ورخاء ، وظهرت الدعاوى الباطلة فاننسب الصعاليك إلى الملوك ، ووصل العوام نسبهم بالأكاسرة . واندفع الشاعر بعد أن غاظته هذه الدعاوى الباطلة إلى تمجيد العرب وحدهم ، ثم لم ينس في نهاية أبياته أن يقر لمدوحه حمدون بصحة انتسابه وحده إلى ملوك الفرس . وإن كان قد بالغ في البيت الأخير .

والحياة الاجتماعية للمسلمين تأثرت إلى حد كبير بالفرس . ومنسختار من النصوص العربية ما يشير إلى ناحية واحدة من نواحي حياتهم الاجتماعية وهي الأعياد . وكان المسلمون يحتفلون بأعياد الفرس القديمة ، وخاصة في العصر العباسي ، احتفالاً عظيماً .

ومن أعياد الفرس التي ذاعت في المجتمع الاسلامي عيد النوروز وكان له صدى واسع في الشعر العربي . ومن الشعر الذي يشير إليه قول ابن مطران من شعراء ما وراء النهر من نيروزية :

قد أتاك النيروز وهو بعيد  
مر من قبله قريباً رسيل  
على سبيلا فيسه إلى راحة  
النفس يراح كأنها سلبيل  
واشتالا على السرور وهل  
يجمع شمل السرور الا الشمول  
وهدايا النيروز ما يفعل النا  
س ولكن هديتي ما أقول (١)

وما قيل فيه :

ولما أت النيروز با غاية المني  
بعثت بنار الشوق ايلا إلى الحشي  
وأنت على الإعراض والهجر والصد  
فنورزت صباحاً بالدموع على الخلد (٢)

وقول الشاعر :

كيف ابتهجك بالنيروز ياسكني  
فتارة كلهب النار في كبدى  
وكل ما فيه محيبي وأحكيه  
وماؤه كترالى عبرتى فيه (٣)

قوله :

نورز الناس ونورز  
ت ولكن بدموعى  
وذكت نارهم والنار ما بين ضسبلوعى

والفرس في أصل هذا العيد أساطير كثيرة ، فمنها أنه نشأ في أول يوم  
تولى فيه افريدون الملك بعد أن قضى على الضحاك ، فاستبشر الناس هذا اليوم  
وجرى على ألسنتهم « نوروز آمد » أى جاء يوم جديد .. وسمى اليوم بهذا  
الاسم من ذلك الوقت وصاروا يحتفلون به كل عام .. ويروى البيروني  
أن هذا العيد نشأ أيام سليمان بن داود (٤) إذ ذهب خاتمه فذهب عنه الملك  
ولما وجده بعد أربعين يوماً عاد اليه الملك وجاءته الملوك مهتنة فقالت الفرس عند  
ذلك ؟ « نوروز آمد » . وأمر سليمان الريح فحملته وراه بخطاف فجاءه

(١) البيهية - ص ١٠٨ ج ٤ ط الصاوي

(٢) الخطط القفرى ص ٤٩٣ ج ١

(٣) نهاية الأرب - ١٨٧ ج ١

(٤) الآثار الباقية - ص ٢١٦ ط ليزج .

يخبره أن له عشا فيه بيضات ويرجوه أن يعدل عن حملها فأجابه سليمان  
إلى ما طلب ونزل على الأرض فأقبل عليه الخطاف وفي متقاربه ماء رشه  
بين يديه تعبيراً له عن شكره . وهذا هو منشأ عادة رش الماء في هذا  
العيد .

ويرافق هذا العيد أول الربيع ولذا جرت عادة الملوك أن يخلعوا فيه  
على رجالهم خلع الربيع والصيف . ويمتد العيد ستة أيام . ومن عادة الناس فيه  
أن يتهادوا السكر فيما بينهم . وكانوا يرون أن من ذاق في صبيحة هذا اليوم  
قبل الكلام السكر وتدمن بالزيت دفع عنه عامة سنته أنواع البلايا (١) .  
وكان من رسم الاحتفال بهذا العيد عند انعامه اشعان النيران في ليته ورش  
الماء في صبيحته (٢) . وهذا يفسر الاشارات الخاصة بالنار والماء التي  
وردت في الأشعار السابقة « بعثت بنار الشوق ليلاً » « نورزت صبحاً  
بالموع » « قناره كلهب النار » « وماؤه كنوالى عترتى .. » « ونورزت  
ولكن بدموعى » « وذكت نارهم » .

وكانوا يحتفلون بهذا العيد في مصر على عهد الدولة الفاطمية احتفالاً  
عظيماً . وهو كما يروى المقريزي من جملة المراسم التي تتمتعل فيها الأسواق  
ويقل سعى الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة وأولادهم  
ونسائهم والرسوم من المنازل وحوائج النوروز . الخ (٣) . وكان أصحاب  
المضاحك يخرجون إلى الشوارع في هذا اليوم وقد انتخبوا من بينهم رجلاً  
يسمونه أمير النوروز قد طلى وجهه بالدقيق والجير ولبس الملابس الحمراء  
الصفراء وركب حماراً يجوب به الطرقات ويتبعه العامة : فكان يطلب  
المال ممن يقابله في الطريق فإن دفع تركه يمضى وأن أبى رش عليه الماء  
ولوث ملابسه . ولم يكن ينجو منهم صغيراً أو كبيراً عظيم أو حقير . وكان

(٢) الآثار الباقية - ص ٢١٧ .

(٢) نهاية الأرب - ص ١٨٦ ج ١ .

(٣) الخنط - ص ٤٩٣ ج ١ .

رجال الشرطة يرون هذه المهازل تقع أمام أعينهم فلا يعترضون على شيء منها لأنها أصبحت عادة مألوقة .. وامتد هذا التهريج إلى التلاميذ في مكائباتهم فكانوا يهجمون على معلمهم في هذا اليوم يطربون منهم المال والا أنتموهم في البئر .

ومن الشعر العربي في المهرجان :

أجب المهرجان لأن فيه سروراً للملوك ذوى التتساء  
ويأبى للمصير إلى أوان تفتح فيسه أبواب السماء(١)

ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إن الفرس تعلم أنه لأطيب من نيروزها مهرجانها  
لأدبار أيام نعم دراؤهمسا واقبال أيام يمر زمسانها

ويأتى عيد المهرجان بعد عيد النيروز بمائة وأربعة وتسعين يوماً . وبه يبدأ فصل الشتاء . وفي سبب تسمية هذا العيد باختلاف كبير ، فأبو ريحان البيروني يذكر أن معنى هذا العيد عجة الروح ، وقيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت في هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من آيين الأكاسرة في هذا اليوم التتوج بالأتاج الذى عليه صورة الشمس (٢) .  
ويزعم آخرون أن انتصار أفريديون على الضحاك صادف هذا اليوم وهو الأول من شهر مهر فاحتفل أفريديون به احتفالا عظيما ، واتخذ عيداً (٣) .  
وزعم آخرون أن مهر بالفارسية بمعنى حفاظ وجان الروح . وفي هذا التفسير يقول الشاعر :

إذا ما تحققت بالمهرجان من ليس يعرف معناه غاظا  
ومعناه أن غلب الفرس فيه فموه للروح حقما حفاظاً(٤)

(١) نهاية الأرب - ص ١٨٧ ج ١

(٢) الآثار الباقية - ص ٢٢٢

(٣) نهاية الأرب - ص ١٨٨ .

(٤) نفس المصدر - ص ١٨٧ .

إلى غير ذلك من المزامع التي تقوم على الأساطير . ولهذا العيد رسوم يتبعونها فكان الملوك يشرقون على الناس فيه كسرة الشتاء لا يحفظون شيئاً منها في خزائهم لأنهم يرون أن حفظ الملابس في الخزائن من فعل العامة وليس من شيم الملوك . وكانوا يستحسنون في يوم هذا العيد أن يطعم المرء شيئاً من الرمان وأن يشتم ماء الورد . ويصح للرعية في هذا العيد أن يهدوا إلى ملوكهم .

وكتب أبو اسحاق الصابي في يوم مهرجان مع اضطراب أهدها إلى  
عضد الدولة :

أهدى إليك بنو الآمال واحتفلوا  
لكن عبدك إبراهيم حين رأى  
لم يرض بالأرض مهادة إليك فقد  
في مهرجان جديد أنت مبيه  
علو قدرك عن شيء يدانيه  
أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه (١)

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب :

تصبح بعز واعتلاء جلود  
وقل مرحباً بالمهرجان وحيه  
له زورة في العمام مازال يومها  
فيحظى بفخر من علاك مجدد  
وأبشر بخير واطراد سعود  
بطلعة بسام أغمر مجيد  
كفيلاً يحظى سيمرد ومود  
وتحظى بعمر في مداه جديد

ثم يقول :

ولما رأيت الله يهدي وخلقته  
فكان احتفالي في الهدية درهما  
وجزاء لطيفاً ذرعه ذرع محبس  
الأطف مولانا وكالماء طبعه  
تجاسرت واستفرغت جهد جهيد  
يطير من الأنفاس بسوم ركود  
وتقييده بالشكل مثل قيودي  
تسلل من عذب التظاف برود  
على كل عريض الد مرید (٢)

(١) قيمة الدر - من ٢٥٥ ج ٢

(٢) نفس المصدر - ص ٢٥٦

واليوم الحادى والعشرون من هذا الشهر (مهرماه) هو يوم رام .  
ومن الاشارة اليه فى الشعر العربى ما كتبه أبو الطيب الطاهرى إلى أخيه  
أبى طاهر بكرة يوم الرام :

وأنى والمؤذن يوم رام      لختلفان فى هذى العداة  
أنادى بالصبح كه كبادا      إذا نادى بحى على الفلاح

كبادا أو كباده بمعنى الفضيحة والعار والفجر فكأنه يريد أن يقول أنه  
يشرب ويضجر فى الوقت الذى يدعو فيه المؤذن إلى الفلاح . ومن عجيب  
الاتفاق أن أخاه أبى طاهر كان قد أرسل اليه رقعة فى نفس الوقت عبر  
فيها عن نفس المعنى وينفس الألفاظ تقريبا :

وأنى والمؤذن يوم رام      لختلفان فى هذا الصباح  
أنادى بالصبح كه كبادا      إذا نادى بحى على الفلاح (١)

ومن أعيادهم السدى . وله نصيب كبير فى الشعر العربى . وفيه يقول  
ابن حجاج من قصيدة مدح بها عضد الدولة بن بوية :

مولاي يامن نذاه يعدو      فقات ميتا ليس يلحق  
ليتبا حبا عجيب      بالقصف والعزف قد تحقق  
لنارها فى السما لمان      عن نور ضوء الصباح ينطق  
والجو منها قد صار جمرا      والنجم منها قد كاد يحرق (٢)  
ودجلة أضرمت حريقا      بألف نار وألف زورق  
فأوهسا كنهها حميم      قد فار ما غلى وبقي (٣)

(١) بيتية الدهر - ص ٦٩ ج ٤

(٢) صحیح مصحح نهاية الأرب وزله على النحو التالي .

والجو منها يصير جمرا      والنجم منها يسكاد يحرق

(٣) نهاية الأرب - ص ١٨٩ ج ١

ومن شعر أبي القاسم المطرز في مدق عمله السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٤ :

وكل نار على العشاق مضرة	من نار قلبي أو من ليلة المدق
نار تجلت بها الظلماء فاشتبهت	بسدقة الليل فيها غرة الفلق
وزارت الشمس فيها الليل واصطلحا	على الكواكب بعد العيظ والحق
مدت على الأرض بظلمة جواهرها	ما بين مجتمع وار ومفسوق
مثل المطييع الا أنها نزلت	من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار وروضان يعرفها	ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكك روض الجنان له	لما جلا ثغره عن واضح يقق (١)

ويكون عيد المدق في ليلة الحادى عشر من شهر رهن ماه . وقد أحاط باسمه وسبب اتخاذه أساطير كثيرة فيقال إن اسمه بالفارسية « صده » بمعنى « صده » فهدم عندهم عيد المائة إذ لما اكتحل لجيومرث مائة ولد في هذا اليوم احتفلوا به وسموه عيد المائة . وزاد بعضهم أن أولاد جيومرث المائة لما بلغوا سن الرشد زوجهم في هذه الليلة فكان هذا الاحتفال والعيد . (٢)

وهذا العيد كغيره من الأعياد التي مر ذكرها ليس من السهل الاهتداء إلى سبب اتخاذهما وحين يفقد الباحث الأسباب الحقيقية لتوغلها في القدم يكون من واجبه أن يهتم إلى حد ما بالأساطير على عهد في ظلماتها شيئاً ينفي عن الواقع أو يصور البيئة . وأياً ما كان السبب في تسمية هذا العيد أو الاحتفال به فإنه صادف عناية كبيرة في اليهود الإسلامية . ومن عاداتهم في ليلة هذا العيد إيقاد النيران على قمم الجبال وإطلاق الطيور في الجو بعد أن يعلقوا في أرجلها المواد المشتعلة ، وأينما حطت هذه الطيور انتشرت النيران . ومن يبالغ في العناية بهذا العيد في اليهود الإسلامية مرداويج ، فكان يأمر بجمع الأحطاب على رؤس الجبال ويأمر بالغربان والطيور فيعلق

(١) نهاية الأرب - ص ١٩٠ ج ١ .

(٢) بدائع اللغة لمحمد بزدي .

مناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطا ، ثم تطلق هذه الطيور لتحط  
على رؤس الجبال فتشتمل النيران في كل مكان .

وكان الملوك يبالبون في اتخاذ أسباب النهو واتقصف في هذه التيلة  
ويقد الشعراء عليهم بقصائد المديح .

وكان يديع الزمان الهمداني من ينكرون على المسلمين الاندفاع في تيار  
الفرس ويتعصبون ضدهم في كل مناسبة . ومن ذلك رسالته في ذم السدق  
التي يقول فيها :

« هذا هو العبد ، وذلك هو الضلال البعيد ، إنهم يشبون  
نارا هي موعدهم ، والنار في الدنيا عيدهم ، والله الى النار  
يعيدهم ... أن عيد الوقود إلك وإن شعار الناس لشعار شرك ،  
وما أنزى الله بالسدق سلطاناً ولا شرف نيزوزا ولا مهرجاناً .  
وإنما صاب الله سيوف العرب على قروس العجم لماكره من  
أديانها وسخط من نيرانها .. الخ .. (١) .

ولأعلام الأماكن الفارسية ذكرها في شعر العربي . ومن هذه الأماكن  
شعب بوان . وأشهر ما يشير اليه من الشعر العربي قصيدة المتنبي التي مدح  
بها عضد الدولة وهي :

مغاني الشعب طيباً في المغاني	ممنولة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها	غريب أوجهه واليد وانسان
ملاعب جنة لو صار فيها	سليان اسسيار بسترجمان
طبت فرساننا والخيول حتى	خشيت وإن كرم من الحوران
عدونا تنفض الأغصان فيه	على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبت الشمس عني	وجئت من الضياء بما كفاني

(١) التينة - من ٢٤٩ ج ٤

دنانيرا تفر من النيران  
 بأشربة وقفن بلا أوان  
 صليل الحلى في أيدي الغواني  
 ليبق الشرد صيني الجفان  
 به النيران ندى الدخان  
 ويرحل منه عن قلب جبان  
 يشعني إلى النونديجان  
 أجابته أغاني الفيضان  
 إذا غنى وناح إلى البيان  
 ومرصوفاهما متاعدان  
 أعن هذا يمار إلى الطعان  
 وعلمكم مفارقة الجنان(١)

وألقى الشرق منها في ثيابي  
 لها ثمر تثير اليك منها  
 وأمواه يصل بها حطها  
 ولو كانت دمشق ثي عناني  
 يلنجوحى مارفت تضيف  
 يحل به على قلب شجاع  
 منازل لم يزل منها خيال  
 إذا غنى الحمام الورق فيها  
 ومن بالشعب أحوج من حمام  
 وقد يتقارب الوصفان جدا  
 يقول بشعب بسوان حصاني  
 أبوكم آدم من المعاصي

وبوان بالفتح والتشديد علم على ثلاثة أماكن أشهرها شعب بوان ببلاد فارس ويقع في الطريق بين أرجان والنونديجان وهو أحد جنان الدنيا لكثرة أشجاره، وتنوع أطياره، وتدفق مياهه، وطيب رياحينه، واختلاف ثماره وفواكه. وحسبنا أن نمنع في قصيدة المتنبي وما بها من الوصف والتصوير. ويذكر ياقوت عن المبرد أنه مر يشعب بوان فقرأ على شجرة به:

على شعب بوان استراح من الكرب  
 ومطرده يجري من البارد العذب  
 على قرب أغصان جناها على قرب  
 إلى أهل بغداد سلام فتي صب(٢)

إذا أشرف الخزون من رأس تلة  
 وأهناه بطن كالحرير مسه  
 وطيب ثمار في رياحين أريضة  
 فبالله ياربيع الجنوب تحملى

ومن البلاد التي كثر ذكرها في شعر المشارقة مخاري، وهي إحدى العواصم الإسلامية الشهيرة ولم يكن جوها من الأجواء التي تشجع على طول الإقامة والمكث فيها ولذا يقول الشاعر:

(١) ديوان المتنبي.

(٢) معجم البلدان.

أقمنا في بخارى كارهينا ونخرج أن خرجنا طائعيننا  
فأخرجنا إليه الناس عنها فان عدنا فإننا ظالمونا (١)

وفي الجزء الرابع من اليتيمة كثير من الأشعار المتصلة ببخارى .

ولشطرنج ، اللعبة المعروفة ، نصيب في الشعر العربي . ومن ارتبط  
ذكره بذكر الشطرنج شاعر من شعراء بخارى وأدبائها وهو أبو القاسم الكسروي  
وكان أبو القاسم يكره الشطرنج ويذمها ويبغض لاعبيها . وله فيها أقوال  
ظريفة فكان يقول « لا ترى شطرنجياً غنياً الا بخيلاً ولا فقيراً الا ظفيلياً  
ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج فاذا جرى ذكر شيء منها قيل  
جاء الزمهرير ولا يمثل بها الا فيما يعاب ويذم ويكره ، وإذا كان مع  
الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل قيل معه فرزان (٢) بيدق (٣) ، وإذا  
استحضر قدر الانسان قيل كأنه بيدق ولاسيما إذا اجتمع فيه قصر القدر  
وصغر القدر كما قال الناجم :

الا يا بيدق الشطرنج في القيمة والقامة

وإذا ذكر وقوع الانسان في ورطة وهلكة على يد عدو قيل كما قال  
عبد الله بن المعز وأجاد :

قل للشقى وقعت في الفخ أودت بشاهك (٤) ضربة الرخ (٥)

(١) اليتيمة - ص ٦٨ ج ٤ .

(٢) ، (٣) اليدق وجهه يياقق وبيادقة معرب بيده ، بياده وهو الجندي الراجل . وفيه يقول  
الفوزدق :

منتك ميراث الملوك وتساخهم وأنت لدمي بيدق في الياقق

احتقاراً نشأه لأن اليدق وهو الجندي الراجل لا يستطيع أن يؤثر في درعه . وفرزان وفرزين  
ما يل اليدق من قطع الشطرنج . ويقال تفرزن اليدق أي صار فرزان يضرب للوضع يرفع نفسه  
غوق قدره .

(٤) الشاه - الملك ، ومن قطع الشطرنج .

(٥) الرخ - طائر وهمي ، ومن قطع الشطرنج .

وإذا روى طفيل يسيء الأدب على المائدة قيل انظروا إلى يد الكشحان  
كأنها الرخ في الرقعة.... وإذا ذكر وضع ارتفع قيل كما قال أبو تمام

قل لي متى فرزنت سر عة ما أرى يسا بيدق (١)

والشطرنج لعبة ليست فارسية الأصل لأنه من اختراع الهنود ، ولكن  
أثناء قطعها واصطلاحات لعبها تغلب عليها الفارسية . والفرس هم الذين  
نقلوها إلى العرب . وكان الهنود عندما اخترعوها يظنون أن لن يقدر على فك  
رموزها أحد ، فأهداها ملكهم إلى كسرى أنوشروان وشرط على نفسه  
أن يدفع الضريبة عن بلاده كل عام للفرس إذا استطاعوا أن يفكوا رموز  
هذه اللعبة . وكان واثقاً أنه لن يدفع . ولجأ كسرى إلى حكيمه المشهور  
برزجمهر الذي عكف على دراسة هذه اللعبة مدة حتى استطاع أن يفهمها  
ويعرف سرها ويفطن إلى كيفية تحريك قطعها . وكانت اللعبة تدور حول  
الجيوش في ميادين القتال وتصوير حركاتها .

طه ننا

---

(١) البنية - ص ٧٨ ج ٤